

منطقة الريف المغربي وعلاقتها بالسلطة المركزية

مقاربة سوسيو- تاريخية

Moroccan Rif and its relationship to the central authority
Socio-historical approach



إيمان الرامي¹

ir146378@gmail.com

جامعة محمد الخامس - الرباط

تاريخ الاستلام: 2020/06/09 تاريخ القبول للنشر: 2020/06/19 تاريخ النشر: 2020/07/03



الملخص :

لقد أعادت الاحتجاجات الاخيرة بمنطقة الريف المغربي العلاقة التاريخية بين هذا الأخير والسلطة المركزية إلى الواجهة، ويُفهم ذلك من خلال استحضار المتظاهرين للتاريخ السياسي للمنطقة، عبر حركة بوشتي البغدادي أواخر القرن 19م التي استهدفت قبيلة بقيوة في يناير 1898 ويسمى هذا الحدث في الريف ب (عام أسوكاس ميك تشين إبقوين - أي العام الذي حلت فيه الكارثة بالبقويين)² و حرب الريف فترة تشكل جمهورية الريف (1921- 1926) التي انتهت، بنفي زعيمها محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي يمثل الغائب الحاضر في الذاكرة الريفية، ثم أحداث 1958-1959) تسمى هذه الأحداث في الريف بعام إقبارن، عام الخوذات، عام نتفاذيسث، عام نتاوريون) التي تلاها إصدار لظهير عسكري يقضي بجعل الحسيمة منطقة عسكرية، واضطرابات 1984 ونعت الريفيين بنعوت قذحية (الأوباش)³ في خطاب رسمي من طرف الملك الراحل الحسن الثاني، و كل هذه العناصر تعكس حالة التصدع بين المنطقة

والسلطة المركزية المستمرة إلى اليوم التي لم يستطع عهد المصالحة محوها، ولا يختلف الريفيون في أن تجربة الانصاف والمصالحة لم تنجح في طي صفحة الريف على نحو يرقى لمستوى التصالح، إذ تم القفز على الذاكرة والتاريخ، وصولاً إلى 2016 واعتقال العديد من شباب الريف والتسبب في هجرة آخرين واتهام الساكنة بالسعي للانفصال و " العمالة " للخارج التي ليست سوى مفاهيم مقابلة للمفهوم التاريخي الذي وصفت به المنطقة قبل الاستقلال (منطقة السبيبة)⁴، ما يعني أن الممارسة الاحتجاجية الريفية هي أيضاً قد تكون ممارسة ذاكراتية هوياتية محكومة بأطر اجتماعية⁵. وهو ما لوحظ من خلال حضور العلم الأمازيغي (تامزغا) و علم جمهورية الريف(بانودو نريف)، واعتماد خطاب يقوم على أسس هوياتية محلية وجهوية: اللغة المشتركة (تاريخيت)، العرق، والتاريخ الجماعي: محمد بن عبد الكريم الخطابي) و الشعارات التي رفعها المتظاهرون والتشبيهات التي أطلقوها مثل (أر مخزن أحكار، أهديس أوفيغا - في هذا النعت يتم تشبيه المخزن بالأفعى التي لا يمكن النجاة من شره)، بالإضافة إلى "مبايعة الاحتجاجات"⁶ إن هذا المعطى هو الذي يفسر، إلى حد كبير، الدافع وراء اختيار موضوع هذه الدراسة، إذ، يظهر أن التركيز على العامل التاريخي يكتسي أيضاً، أهمية بالغة لفهم رهانات الاحتجاجات والابتعاد عن التفسيرات ذات البعد الأحادي القائمة على التركيز على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية فقط.

الكلمات المفتاحية: الريف - السلطة المركزية - الصراع - الاقصاء- التهميش - العزل - المسألة الاجتماعية- الذاكرة- الثابت والمتحول .

Abstract

The recent protests in the Moroccan countryside have brought the historical relationship between the latter and the central authority back to the fore, and this is understood through the protestors' evocation of the political history of the region, through the movement of Bouchta al-Baghdadi in the late 19th century that targeted the Baquiwa tribe in January 1898. This event in the countryside is called (the year of Asukas). Mick Chen Ebquin - meaning the year in which the disaster

occurred in the Baqouin) and the Rif war, a period that formed the Rif Republic (1921-1926), which ended, with the exile of its leader Muhammad bin Abdul Karim al-Khattabi, who represented the absent person present in the Rif memory, then the events of 1958-1959 (called this Juveniles in the countryside in the year of Iqbarn, a The helmets, the year of Netfathiste, the year of the Neturion) that was followed by the issuance of a military back to make Al-Hoceima a military zone, and the disturbances of 1984 and called the Rif people a slogan (awbash) in an official letter from the late King Hassan II, and all these elements reflect the state of the rift between the region and the central authority Continuing until today that the era of reconciliation could not erase it. Rif residents agree that the reconciliation experience did not succeed in folding the countryside file in a way that amounts to reconciliation, Where memory and history have been surpassed, until 2016, many Rif youth were arrested, the emigration of others and accusing the population of seeking separation and "work" abroad, hese concepts are consistent with the historical concept that was described by the region before independence" bled Siba" What this means is that the Rif protest practice Identity memory practice, governed by social frameworks This was observed through the presence of the Amazigh flag (Tamazgha) and the flag of the countryside of the countryside (Bandu Nereef), and the adoption of a discourse based on the principles of local and regional identities: common language (Tarifit), race, and collective history: Muhammad bin Abdul Karim al-Khattabi) and the slogans he raised The demonstrators In addition to "pledging allegiance to the protests," this fact explains, to a large extent, the motive behind choosing the subject of this study, it appears that focusing on the historical factor is also very important to understand of the protests and to move away from interpretations one-dimensional Focusing on economic and social dimensions only.

key words:

The countryside - the central authority - conflict - exclusion - marginalization - isolation - social issue - memory - Hard and variable

مقدمة عامة:

تشير هذه الدراسة بعض الأسئلة المتعلقة بالعلاقة بين منطقة الريف والسلطة المركزية، وقد نص العنوان، عمداً، على هذه العلاقة، قصد بيان دور هذه الأخيرة في تشكيل ملامح الممارسة السياسية للدولة تجاه المجتمع الريفي، إذ أن هذه الممارسة تركز على أسس

تاريخية وتشمل العلاقات السياسية بين الحاكمين والمحكومين.⁷ فكما هو معلوم كان لمنطقة الريف دور كبير في تاريخ المغرب، وتجسد هذا الدور في محطات متعددة كان فيها إما صنيعا للأحداث أو طرفا فاعلا في مجرياتها، الأمر الذي يتيح دراسة علاقته بالدولة، والخروج بعناصر يفهم على ضوئها الجانب الاقتصادي والاجتماعي باعتبارهما ثمرة النسق السياسي. ولعل التطرق إلى هذه الجدلية سيساعدنا على بلوغ الأبعاد التي تسمح برؤية العلاقة بين المحلي والتاريخي والاجتماعي والثقافي والفردية، وهي الرؤية التي تحيل فيها الصورة الاجتماعية لمجال الدراسة على مجال المشاشة الاجتماعية وفي نفس الوقت على الفكر الهامشي و نمط الفرد المهمش.⁸

يتعلق الأمر بمجال عرف قبل الاستقلال وبعده العزل التام من مسلسل التنمية التي عرفها المغرب ، اذ ادى الريف من جهة ضريبة الصراع الاستعماري حول المغرب ، فتم التنازل عن المنطقة الشمالية من طرف فرنسا لاسبانيا إرضاء لإنجلترا، من خلال معاهدة 27 نونبر 1912، فشكلت بذلك الإطار الذي رسمت بموجبه الحدود الوهمية لمناطق نفوذ كل من فرنسا واسبانيا، وعليه قسم المغرب إلى ثلاث مناطق: فرنسية واسبانية ثم دولية. وهذا الارث ظل فاعلا لمرحلة ما بعد الاستقلال، فرغم تحقيق الوحدة، فقد استمرت القطيعة على طول الحدود الوهمية بين المنطقتين.⁹ وعن ذلك قال ملك البلاد بتاريخ 2 يونيو 1956: " إن إخوانكم في الشمال يعيشون في بؤس شديد، فالحقول باثرة، والمسكن مهدمة... ". وعن نفس الوضع قال G. Maurer بقوله: " كل ملاحظ اقتصاديا كان، أو جغرافيا، أو إداريا، سيسعر بالقلق أمام مستقبل الجبل، فالتزايد الديمغرافي سريع للغاية، والبلد فقير جدا، وخزائن الحبوب والمغروسات والماشية تتجلى من خلالها النتائج السيئة للفلاحة، والفلاحون عاجزون عن رفع مداخيلهم بسبب نقص رأسمالهم من الوسائل التقنية، واجتثاث الغابة أصبح ممنوعا أمام أخطار التعرية، فالموارد التكميلية للجبلين في انقراض، ولذا أصبح النزوح ضروريا... ".¹⁰

ولكل هذه الاعتبارات، سنحاول من خلال هذه الورقة تقديم بعض التصورات التي من شأنها أن تسلط الضوء على العلاقة السببية بني واقع التنمية بمنطقة الريف وتاريخها السياسي .

حول مفهوم الريف:

المفهوم المركزي في عنوان الورقة هو " الريف " واحد من المفاهيم التي يصعب تعريفها إذ كثيرا ما يتم استعماله بلبس شديد تنسحب مفاعليه على مجمل المجال التداولي. لكننا وانطلاقا من قراءات مختلفة حول الريف الذي هو مجال الدراسة، خلصنا إلى تحديد مقصودنا من هذا الأخير.

وفي الواقع، إذا ما حاولنا الرجوع إلى مختلف التحديدات التي اعطيت لمفهوم الريف، أنه كان متداولاً منذ فترة ابن سعيد الغرناطي أثناء تعرضه لأخبار مدينة بادس، والمتوفي في العام 676هـ / 1274م.¹¹ وهناك من يشير إلى أنه كان متداولاً قبل هذا التاريخ بعدة قرون ، أي منذ القرن الثامن ميلادي، وذلك وفقاً إلى ما ذكره مؤلف مجهول في وصفه لإحدى المجامع التي اجتاحت منطقة الأندلس وباقي الضفة الشمالية للبحر المتوسط في منتصف القرن الثامن ميلادي قائلاً : " وفي سنة 136هـ / 718م ، اشتد الجوع فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا، وريف البربر ممتارين ومرتحلين ... »¹² .
ليشير إلى « المنطقة الممتدة على الساحل المتوسطي منذ بداية العهد المريني، عندما بدأ المرينيون يهتمون بالمنطقة ومراسيها خاصة مرسى بادس الذي أصبح "المرسى" نقطة هامة للتبادل التجاري ومقاومة المد المسيحي¹³ ». كما تم استعماله من طرف العديد من الإخباريين للدلالة على مجموعة بشرية قد استقرت بالمجال الواقع شمال المغرب¹⁴ . وتعود أول إشارة واضحة لمجال الريف لعبد الحق البادسي

في ذكر صلحاء الريف¹⁵ ، و في نفس الاتجاه ذهب مؤرخ الدولة المرينية ابن أبي زرع الفاسي في الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس¹⁶ .

وعموما، فإن مصطلح الريف تتقاطع ثلاث دلالات متداخلة ومتعارضة في نفس الآن: مدلول جغرافي، مدلول بشري، ومدلول إداري¹⁷ . من جهة أخرى، يعرف الريف عامة، بتاريخه الطويل، وجغرافيته المتنوعة ذات الطبيعة الجبلية الممتدة على طول 300 كلم وعرض يتراوح بين 50 و 180 كلم بشمال المغرب¹⁸ .

وفي الأخير، وقبل أن ننتقل إلى تحديد العلاقة المدروسة ، نرى من الضروري توضيح مسألة هامة: وهي أن جميع أطراف الريف تعرضت لتغيرات على مستوى مدلولها الجغرافي والبشري والإداري، باستثناء « الجزء الواقع بين وادي النكور شرقا ورأس الجبهة غربا والخط الرباط ما بين رأس الجبهة وكتامة جنوبا¹⁹ ».

وعموما تتوزع سلسلة الريف على أربعة أقسام وهي :

- 1- الريف الغربي: المعروف بإقليم جباله ، وتشكل الجزء الشمالي الغربي من الريف.
- 2- الريف الجنوبي: ويشكل امتدادا لبلاد جباله في اتجاه الجنوب الغربي.²⁰
- 3- الريف الأوسط وتمثل الجبهة الجبلية العليا بالريف، وهو ما يشكل قلب الريف، كما أن موقعها هذا سمح لها بالاضطلاع بأدوار محورية في السياسة المحلية. علاوة على أنها شكلت عبر التاريخ أحد التغور المحادية للإسبان في جزيرة النكور وبادس²¹ .
- 4- الريف الشرقي²² .

- العلاقة التاريخية بين الريف والمخزن²³ قبل استقلال المغرب

على خلاف ما أكده العديد من الدارسين لمنطقة الريف، كونها كانت منطقة " سائبة " أو شبه سائبة تسييرها مجالس جماعاتها، لا سيما منطري الانقسامية²⁴ و تعتبر دراسة رويبر مونطاني حول " البربر والمخزن " القاعدة التي ارتكزت عليها أعمال الانقساميين

فيما بعد ونخص بالذكر هنا أبحاث ارنست كلينر²⁵ و دافيد هارت²⁶، فلدينا من الوثائق ما يظهر العكس، أي أن التنظيم الاجتماعي والسياسي للمجتمع الريفي، لم يكن مستقلا عن السلطة المركزية، وهو نفس ما ذهب له أن رايمون جاموس في سياق اشتغاله على قبيلة قلعية الريفية ليشكل استثناء واضحا في هذا الموضوع بالذات. وإن لم يختلف عن الطرح الانقسامي بالشيء الكثير، فهو يرى على أن المجتمع القلعي، حتى وإن كان مجتمعا انقساميا، فهو يعرف تطورا في علاقات السلطة ضمن "نظام العرض"، وهو ما يجسد "الأمغار" باعتباره رجل ذو نفوذ يوحد العشيرة التابعة له، اضم الى ذلك، عامل الصراع بين الشيوخ المنتمين لجماعة ترابية واحدة من أجل بلوغ السلطة الأمر الذي قد يصل حد تدخل "اللفوف"، كما أن الصراع يمكن أن يشتد من أجل "زعامة اللف". وهذه العوامل مجتمعة تدل على وجود علاقات السلطة²⁷ التي تنفي تماما القاعدة التي انبنت عليها الانقسامية.²⁸

إن الفرضية التي يمكن الإدلاء بها في هذا الشأن هي أن القبائل الريفية لم تكن خارجة عن سلطة المخزن وعن نطاق نفوذه بشكل تام أو دائم، كما لم تكن تحت سلطته بشكل مستمر، لاسيما وأن المخزن كان متسما بسمة الدولة التجزئية، أي التناقض الطردي كلما وقع الإبتعاد عن المركز على خلاف ما صورتهم عليه المدرسة الفرنسية والأجلوساكسونية، وهو ما تؤكد تعيينات المخزن لممثليه منذ العهد العلوي.²⁹ ولفض النزاعات كان يلجأ السكان إلى الممثلين المخزنيين باعتبارهم الممارسون المباشرين للسلطة المخزنية عليهم. وفي هذا السياق سنسوق مثالين عن ذلك لنؤكد من خلالها حضور المخزن بالمنطقة.

نسجل أنه في العام 1835، نشب نزاع بين ثلاث فخذات ينتمون لقبيلة بني ورياغل بسبب مياه السقي، فتضررت الفخذتين الأولى والثانية من طرف الفخذة الثالثة، ونتيجة لذلك قامت الفخذتين المتضررتين برفع شكوى إلى الممثل المخزني. هذا الأخير الذي نظر في ذلك بمعية عدد من أعيان القبيلة وفقهائها و استدعوا الأطراف المتنازعة، لينتهي

الأمر بحسم الخلاف بين الفخذات الثلاث والتزام كل واحدة منهم على تطبيق الاتفاق الذي تم التوصل إليه بهذا الشأن.³⁰

وفي سنة 1876 نشب نزاع آخر بين قبيلتي بني ورياغل وتمسمان بسبب اغتيال أحد قياد قبيلة تمسمان في مجال نفوذ المحسوب بني ورياغل وهو الحاج بوعزة بداود، عقب ذلك تدخل السلطان مولاي الحسن لحسم النزاع بين القبيلتين عبر المرابط محمد الحضري.³¹ لكنه فشل في هذه المهمة مما دفع بالسلطان إلى إرسال أخيه إلى عين المكان (المولى الأمين)، الذي وصل إلى قلعية ثم توجه إلى النكور، وتمكن في الاخير من إعادة الود بين القبيلتين.³²

وحسب هذين النموذجين، يتبين أن حضور الممثلين المخزنيين بالمنطقة كان واقعا طوال القرن التاسع عشر وبداية العشرين ، وهو ما يجعلنا نطرح السؤال حول مدى مبالغة الكتابات الأجنبية في تضخيم عامل السببية والريفوبليك بقبائل الريف ؟ اذ ان اعتماد القبائل في تسيير شؤونهم على المؤسسات المحلية جعل هؤلاء يجزمون بقطيعة تامة بين المخزن المركزي وهذه القبائل. من دون أن يفتنوا إلى أن وجود القائد أو الممثل المخزني في القبيلة لم يكن يتعارض مع حفاظ القبائل على تسيير وإدارة شؤونها بنفسها من خلال أنظمتها وجماعاتها التي رفضت التخلي عنها. وهو ما ذكره محمد الحبابي³³. فضلا عن ذلك فما تظهره الوثائق المخزنية المركزية والمحلية هو وجود اتصال دائم ما بين القبائل الريفية والمخزن حتى في أطول فترات الصراع و أشدها.

وبناء على ما تقدم، يتضح أن المجال الريفي لم يكن بالمرّة من المناطق السائبة أو شبه السائبة، وهو ما سوف يتأكد لنا بشكل أكثر عند وقوفنا على علاقات هذين الأخيرين فيما هو قادم من محاور هذه الدراسة . كما أن العامل الجغرافي كان له دور محوري في كثير من اللحظات لعدم قيام الحركات التي كان يقررها المخزن لجماعة السكان. وهو ما يستفاد من إحدى الرسائل الموجهة من القائد علي بن محمد الحاحي إلى السيد محمد بن

العربي بن المختار الجامعي المؤرخ لها ب 2 شعبان عام 10/1297 يونيو 1880 والتي جاء فيها:

« ... إن مولانا أمير المؤمنين ولاني على خمسة قبائل من ناحية الريف واسند أمرها إلينا، فالسمع والطاعة لله ولرسول الله ولأمير المؤمنين، مع أن الوقوف لاستخراج الحقوق منهم بعضهم بعضا متعذر لاستحالة الوصول إليهم ولو بالمخازنية »³⁴.

وصحيح أن هذه النتائج لا تنفي عن المنطقة ضعف الحضور المخزني، لكنها بالمقابل تبرئها من طابع الفوضى والانشقاق عن السلطة المركزية. ولعل إدراك الوضع من هذه الزاوية، كنتاج لعوامل متعددة ومختلفة باختلاف الظروف، قد يتيح لنا إمكانية فهم المجتمع الريفي كعنصر ضمن المجتمع عامة ، وليس ككيان مستقل ومنغلق على ذاته.³⁵ أخيرا يجب ألا يغيب عن الذهن أن القبائل الريفية كانت تحتفظ بعاداتها وأعرافها ونمط عيشها الخاص ، لكنها كانت بعيدة كل البعد عن تشكيل جمهوريات صغيرة سائبة أو مطلقة السيادة ، كما كانت جزءا من المجتمع الأوسع الذي هي جزء منه وبذلك كانت تحت نفوذ الجهاز البيروقراطي (المخزن). وعليه فإن الدارسين للمنطقة بأحدهم لبعض المظاهر السائدة بالريف كرفض أداء الجبايات وإغفالهم لمظاهر أخرى³⁶ لا تقل عنها أهمية كالأسباب التي تؤدي بهم إلى عدم أداء الواجبات المخزنية كالبعد الجغرافي و الوضع الاقتصادي للمنطقة، ومساهمتها في الدفاع عن الشواطئ الشمالية، الجفاف، المجاعات إلخ، أدى بهم إلى اغفال كثير من حقائق بنية المجتمع الريفي .

- المقاومة الريفية للتسرب الاجنبي

سنحاول خلال هذا المحور إعطاء صورة عامة عن مختلف مظاهر مقاومة أهل الريف للاستعمار الأجنبي - منذ بداية تنفيذ خطة التوغل الاسباني بالمنطقة - دون أن يعني ذلك أننا سنحيط بهذا الجانب بشكل مفصل، خاصة وأن الخوض في مواضيع المقاومة

والجهاد يستوجب الاعتماد على الوثائق والمخطوطات والرواية الشفوية التي قد تكون بحوزة أحفاد المجاهدين المشاركين في الحروب التحريرية، وأمام غياب هذه المصادر ولأننا لا نمتلك سوى ما كتب حول الموضوع مثل : ما كانت تكتبه الصحافة الاسبانية " تلغراف الريف " التي عايشت الأحداث وواكبتها، و ما حرر من طرف العسكريين الاسبان ، وكذا بعض المؤلفات التي اهتمت بتاريخ المنطقة . كالعربي اللوه، المنهال في كفاح أبطال الشمال، وحسن الفكيكي بدراستيه : المقاومة المغربية للوجود الاسباني بمليلية 1697- 1859م - الشريف محمد أمزيان شهيد الوعي الوطني 1908م - 1912م ، فتناولنا لهذا الجزء من تاريخ الريف سيكون عاما .

كثيرة هي اللحظات التي التحمت فيها ساكنة الريف والسلطة المركزية ، والتي تمثلت في مقاومة كل محاولة للتدخلات الاحنبية التي تستهدف المغرب عامة، وليس منطقة الريف فحسب. وتحذر الاشارة الى أن بعض قبائل الريف في وقت سابق، ونتيجة لضعف السلطة المركزية عقب ثورة الروكي بوحمارة وبعد مقاومة الشريف أمزيان قد طالبت بتدخل السلطات الاسبانية لحمايتها ونخص بالذكر هنا قبائل من الريف الشرقي وهما مطالسة وبني بويحيى كما فعلت اسبانيا مع كل من قلعية وكبدانة، لكن سرعان ما سيتراجعون عن ذلك لتتقوم الحرب التحريرية³⁷ هذا الموقف الراض للاستعمار برز أيضا من خلال المواجهات التي وقعت بين الريفيين والحاميات الاسبانية³⁸ منذ أن سجل الاسبان حضورهم بجزيرتي بادس والنكور، ومن خلال المشاركة بحرب تطوان التي وقعت ما بين المغرب واسبانيا خلال الفترة 1859-1860، ومساندتهم للشريف محمد أمزيان في شرق الريف، و إبان الثورة التي قادها الجيلالي بن عبد السلام اليوسفي الزرهوني المعروف " ببوحمارة" كما أشرنا³⁹

- موقع قبائل الريف في حرب تطوان (1859-1860)⁴⁰

كانت حرب تطوان ،والتي انهزم فيها المغرب، سببا لمعاداة اهالي الريف الالاسبان، ويقطعون كل أشكال التعامل معهم، وتعتبر هذه الحرب من ابرز تمظهرات حماية اهل

الريف للبلاد من محاولات الاكتساح الاجنبي في هذه الفترة وقبلها. إذ بمجرد دعوة السلطان لهم من أجل الجهاد، التحقوا بالمحلة المخزنية الكائنة بتطوان، والتي كان يرأسها انذاك أخ السلطان مولاي العباس⁴¹ من اجل مؤازرة باقي المجاهدين ضد عدو مشترك⁴²، واستمروا في القتال الى اخر لحظة : " ليلة اليوم الخامس من شهر ربيع الثاني من عام 21/1276 نوفمبر 1859، اجتمع فريق من المجاهدين بهذه القرية وساروا قاصدين شبارات النصارى بالليل فلم يصبح الصباح الا وهم بقرب من الشبارات فقاتلهم من الصباح الى العصر وكان عدد الذين استشهدوا من المسلمين يفوق العشرة ، أما الجرحى فعددهم ثلاثون رجالا"⁴³. وهو ما حذا بالنائب محمد الخطيب إلى مراسلة السلطان مطالبا إياه بمناشدة القبائل الريفية لا رسال مزيد من المتطوعين الى تطوان، وفي حالة تطلب الأمر ذلك اعفاءهم من الاعشار لعشر سنوات⁴⁴ "قبائل الريف يا سيدي كلهم فيهم الشجاعة ويعرفون القتال مع هذا الكافر، فلو كانت منهم محلة فلا يخرج الاسبان من سبتة في الاول"⁴⁵ وقد استجاب السلطان لمراسلة النائب المذكور، وراسل القبائل الريفية طالبا منها الانضمام للمجاهدين في تطوان⁴⁶ ، وفي نفس السياق كانت بعض قبائل الريف الاوسط تحضر لبعث متطوعيتها وهو ما يؤكد نص الرسالة التالية : " (...) وصلنا كتابك مخبرا بتمشي قبائل تلك النواحي للجهاد وفرضهم حركتهم، وأنك على نية التوجه معهم بنفسك لما رأيت أن كثيرهم لم تطب نفسكم للتوجه مع تخلفك (...) أما تهيؤ القبائل للجهاد في سبيل الله فهو المراد وقد أصبت في توجهك معهم واقدموا على اخينا مولاي العباس اصلحه الله. فإن أمرنا بدفع المؤونة لكم وجميع من ذكرت من المجاهدين وأوصيناها عليهم بالإحسان إليهم (...) "⁴⁷

- الهجوم الاسباني على قلعة:

بالإضافة الى ما سبق ، نستحضر حركة الشريف محمد أمزيان خلال الفترة 1909-1912، الذي عمل بمساعدة من قبائل الريف الشرقي على محاربة بوحمارة و حثه على مغادرة المنطقة، هذا الاخير الذي كان يسعى الى الاستحواذ على مناجم الريف⁴⁸ وتشير الوثائق التاريخية الى ان قبيلة بني ورياغل قد قاومت بشدة توغل نفوذ بوحمارة، ما جعل حاكم مليلية يرسل الشريف أمزيان وزعماء منطقة قلعية لمطالبتهم بالسماح للعمال الاسبانين مواصلة الاعمال التي سبق وتم الاتفاق عليها مع الجيلالي الزرهوني بخصوص منجمي " وكسان" و "إحرشاون"، لكن طلبه هذا قوبل بالرفض⁴⁹ فلجأ الى القوة لاتمام طريق السكة الحديدية. وهو ما أدى إلى نشوب نزاع ما بين الاسبان وزعماء القبائل والشريف أمزيان حسب الرسالة التالية: "...أن حركة مليلية قد وقفت وانطفأت النيران الموقدة بين ال الريف والصبنيول بسبب الجواسيس من ال الريف(...). والكمبانية المتسببة اي الناشئ عنها ذلك رجعت الى الخدمة(...)"⁵⁰ ، و بتاريخ 9 يوليوز 1909 تم الهجوم على الاسبان من طرف المجاهدين وأجبروهم على التراجع نحو مليلية⁵¹.

و عند التعرض لأشكال دفاع الريفيين عن منطقتهم لابد من الوقوف عند الحرب التي اندلعت بين المجاهدين والاسبان في العام 1909، وبمجرد اندلاعها، راسل الشريف أمزيان القبائل الريفية للالتحاق بجهة القتال بقلعية، وهو الأمر الذي استجاب له المجاهدين المنحدرين بخاصة من الريف الأوسط بني ورياغل وبني بوفراح وبني يطففت وبني عمارت إلخ، والذين وصل عددهم إلى عشرة الاف مجاهد⁵². واستطاع المجاهدون التضييق على القوات الاسبانية في المعركة التي وقعت بنواحي سيدي موسى في 23 يوليوز من سنة 1909 بقيادة الشريف امزيان.⁵³ وهي نفس السنة التي قامت بها معركة أخرى بوادي " إغزراشن" بناحية مليلية⁵⁴ بمدشر أيت عيسى ببني انصار بقبيلة مزوجة، التي

انتصر فيها اهل الريف ، فحاولت اسبانيا رد الاعتبار بمعركة " إجدياون" التي قامت بساحل البحر بقبيلة بني شيكار، غير أنها منيت بالهزيمة مرة أخرى. وفي نظرة عامة للأحداث، تبدو حرب تطوان بداية لسلسلة من حركات المقاومة التي ستحوزها ساكنة الريف الأوسط لإحباط الأطماع الاستعمارية الاسبانية.

- مقاومة الريف بعد 1912

صادفت المقاومة خلال هذه الفترة ، وفاة الشريف محمد أمزيان ⁵⁵ لتظن اسبانيا أنه أصبح من الممكن تنفيذ مخططها الاستعماري بكامل الريف. لكنها سرعان ما تبينت استحالة ذلك ، بسبب المقاومة الشرسة للتوغل العسكري من طرف الساكنة ، لتغير خططها عبر استمالة أعيان القبائل وبعض الشرفاء من خلال تمتيعهم بالامتيازات المالية حتى يتسنى لها التوسع بالمنطقة. ⁵⁶ وبالفعل لقد تمكنت بفعل هذا التخطيط السياسي من خدمة أغراضها الرامية إلى تفتيت عنصر الوحدة والتكتل الذي كان سائدا بين قبائل الريف في زمن الشريف أمزيان، وقد ذكر جنرال اسباني ⁵⁷ ذلك في سياق حديثه عن أحد عملاء بني ورياغل قائلا: " كانت الخطة تركز على العمل بشكل يصبح معه بنو وياغل في حالة حرب مستمرة، وذلك عن طريق تحطيم التنظيم المسماة ب " منظمة الغرامات" ⁵⁸ نفس الشيء يؤكدُه القائد العام للمليية ⁵⁹ قائلا: " إن هذا الفريق الموجود رهن إشارتي في مجموع أراضى العدو، هو الذي يتيح بسهولة تفكيك التكتلات المسلحة التي كانت قد احتشدت في جو حماسي لإبادتنا. فأعضاء هذا الفريق لا بد وأن ينفذوا داخل هذه التكتلات لكي يزرعوا روح الهزيمة قبل أن تتعرض لأي هجوم. وهذا الفريق هو الذي يشير أيضا بينها، وحسب رغبتى، صراعات دامية، كنتلك التي تمزق مثلا في هذه الآونة قبيلتي بقبوة وبني ورياغل بغية شل الريف...". ⁶⁰

وفي العام 1920 ستعرف الأوضاع تغيرا كبيرا، ببروز زعيم حرب الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي نجح، في إعادة اللحمة بين القبائل واستغلال ذلك في مواجهة الاحتلال الاسباني، كما تمكن من توحيد فرق قبيلة بني ورياغل التي اعتبرتها اسبانيا الحاجز المنيع لسياساتها، وهكذا شرع في هيكلة مخططه لمواجهة القوى الاسبانية، وبفضله تحقق أول انتصار للريفيين على الاسبان في معركة أنوال سنة 1921م.⁶¹

- محمد ابن عبد الكريم الخطابي وكيانه السياسي : إطلالة عامة

يعتبر الكيان السياسي الذي شيده محمد ابن عبد الكريم الخطابي، والذي اصطلح على تسميته بـ " جمهورية الريف " من اهم عناصر التوتر بين السلطة المركزية ومنطقة الريف، فقد اعتبره الطرف الاول ذو مسعى جمهوري انفصالي عن الدولة المغربية التاريخية - الشرعية ، وأن محمد ابن عبد الكريم كان " روعيا " وهو ما سنحاول تبيان زيفه تفاديا لإعادة إنتاج خطابات السلف.

تجدد الاشارة بداية، إلى أن موضوع " تجربة محمد بن عبد الكريم الخطابي " كانت الى حدود وقت قريب من المواضيع الممنوع الخوض فيها على الصعيد الوطني ، ولم ينتهي هذا المنع الا حديثا ضمن إطار "الجامعة العربية"⁶² التي كلفت انذاك، السيد علال الفاسي بتأليف كتاب حول " الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ولا تكمن أهمية هذا المؤلف في المعلومات التاريخية التي جاء بها عن حرب الريف - لاسيما وأنا نعلم انه لم يكن سوى نقل شبه حرفي عن مصدر مشرقى وهو: عمر أبو النصر⁶³ (ظنا منه أن ما نقله عن هذا الأخير هو في الأصل يرجع إلى ما دونه روجي ماثيو عن محمد ابن عبد الكريم الخطابي)⁶⁴، وبدل تبيان عمق هذه التجربة والكشف عن السياق التاريخي الذي حتم تبلورها ، تم تناولها خارج سياقها التاريخي الذي كان اساس صورة مغلوطة رسمت حول ما عرف بـ " جمهورية الريف " التي كانت أقرب الى الامارة منه الى الجمهورية بالمعنى الغربي ، وتعزز هذا القول وثيقة مبايعة محمد بن عبد الكريم كأمر للجهد⁶⁵ لأجل الريف بمعناه الجغرافي " الممتد على طول الواجهة المتوسطية من ملوية شرقا، إلى المحيط

الاطلنتي غربا، ومن تخوم البحر المتوسط شمالا، إلى ضفاف نهر ورغة جنوبا، أي مجموع شمال المغرب الذي تقطنه أيضا قبائل غمارة وجبالة وصنهاجة⁶⁶ " وليس باعتباره سلطانا للبلاد. وقد تحدث الخطابي عن رفضه لهذه البيعة قائلا: "رفضت أن أكون ملكا، وطلبت من الذين بايعوني أن يراجعوا في قرارهم، قلت لهم: لقد اتخذتم هذا القرار دون أن أعلم، ودون أن تسألوني رأيي، أنا أرفض، وأصروا على رأيهم، وتشبثت أنا بموقفي (...)"⁶⁷ وذكر أن وزير خارجيته محمد أزرقان أقتعه بقبول أن يكون أميراً على الجهاد فقط.⁶⁸

نعلم جيدا بأن الامارة ليست غريبة عن تاريخ المغرب والمغاربة، فكثيرا ما ظهرت عبر التاريخ، والتي جعلت مؤسسيها يضطلعون بمهام هي اصلا من صميم اختصاصات السلطان، ونقصد بذلك مهام الجهاد، فجددوا أنفسهم لذلك، ودعوا الناس للانضمام اليهم لنصرة دين الله والجهاد ضد اعدائه، كما هو الحال مثلا بالنسبة ليحيى الحاحي بسوس خلال العهد السعدي، الذي عمل على ترميم كيان متهالك نال منه الصراع على السلطة بين أبناء المنصور ومنافسيهم، وزادته النزاعات والمطامع القبلية، والأوبئة والمجاعات، والغارات الايبيرية على الثغور ليؤسس الحاحي كيانا سياسيا جعل مدينة تارودانت عاصمة له⁶⁹. بل وكانت هناك كيانات اخرى اتخذت اسما جمهوريا كجمهورية سلا مثلا، لكن لم يتم التعامل معها على أنها خروج عن الشرعية الوطنية. فلماذا لم يتم التعامل مع الخيار السياسي الذي تبناه محمد بن عبد الكريم الخطابي في بلاد الريف على نفس النحو؟ ألم تكن تجربة محمد بن عبد الكريم السياسية مجرد حل وسط أراد من خلاله - في مرحلة تاريخية كانت فيها السلطة المركزية عاجزة- خلق التنظيم والامن والاستقرار، ومتى تم تحرير البلاد كاملة سلموها محررة الى صاحب العرش؟ ثم الم يكن الخطابي يقدم نفسه للخارج كممثل لبلد غير ملزم بنظام الحماية الذي التزم به السلطان، بخلاف تجارب سابقة التي بنيت تحركاتها على أساس أن السلطان غلب على أمره، ونصب زعماءها أنفسهم كسلطين لكي يجرروا البلاد رفضا لمعاهدة جبر السلطان على

توقيعها) الهبة ووالده ماء العينين؟ فلماذا أُلصقت تهمّة التمرد والانفصال بمشروع الخطابي السياسي، الذي لازال إلى حدود اليوم يعمق أزمة الثقة بين الريف والمركز؟ وهل فعلا شيد محمد بن عبد الكريم حكومة " جمهورية " أم كيانا اخر لا يحمل بالضرورة هذه التسمية رغم تداولها على نطاق واسع؟

تجدر الاشارة إلى أن الشكوك بخصوص جمهورية الريف قد بدأت في وقت سابق مع الباحث المغربي جرمان عياش عقب رفضه للمشاركة في ندوة باريس التي انعقدت في العام 1973، مبررا موقفه ذاك باعتبار الحاضرين في الندوة إنما ينون قصرا من الرمل⁷⁰ ولم يرد اسمه سوى في إشارة من روني غاليسو في مقرر الندوة الذي قال عن غياب جرمان عياش متأسفا: " إننا خسرنا معطيات في غاية الأهمية كان من شأنها أن تقودنا إلى فهم أعمق لطبيعة شخصية محمد بن عبد الكريم ومحيطه ...، وذلك بخسارتنا للتقرير الذي كان على جرمان عياش تقديمه".⁷¹ والتشكيك من طرف جرمان لا يعني أن الأمير الخطابي⁷² لم يشكل حكومة التي اعتبرت جهازا محليا له علم يخصه ونشيد وطني⁷³ وجيش وقوانين تحكمها ومؤسسات إدارية إلخ .

ورغم ما قيل عن الكيان السياسي الذي تزعمه محمد بن عبد الكريم الخطابي ، فإننا نؤكد أن هناك من الأدلة القاطعة ما ينفي تبني الخطابي رسميا مفهوم "الجمهورية" الذي كان متداولاً في الأوساط الغربية حتى قبل بداية تداول مصطلح الإمارة الريفية " ... كلمة جمهورية لم تأخذ في ذهننا معناها الحقيقي إلا بعد حين، لأن جميع الشعوب، تجد حاجة في بداية تشكل نشوئها إلى حكم حازم، وسلطة قوية وإلى منظمة وطنية نشطة"⁷⁴ كما أن لنا ما يثبت أن أول إرهابات الحكومة التي ظهرت صيف 1921 حملت اسم " الحكومة الجديدة للريف " وإشارة " جون أرنال " لعصبة الأمم في 5 شتنبر من نفس السنة خير دليل على ذلك.⁷⁵ فهذه الوثيقة التي تعتبر بناء على تاريخها أول بيان سياسي باسم الحكومة الريفية برئاسة محمد ابن عبد الكريم الخطابي، لم تتطرق لتسمية الجمهورية الريفية. ويفهم منها أن تسمية الجمهورية لم ترتبط بالحكومة عند

تشكلها، بل جاءت في وقت لاحق. إذن ألم يحن الوقت لإنصاف محمد بن عبد

الكريم الخطابي ومعه كل الريفيين من تهمة الانفصال التي ألصقت بهم طويلا ؟

بداية، نؤكد على أن الخوض في موضوع الجمهورية الريفية يحتاج لوحده لدراسة مستقلة⁷⁶، لذلك لن نخوض في طبيعة الكيان السياسي الذي شيده محمد بن عبد الكريم الخطابي هل هو جمهورية أم شيء آخر ؟ ربما قد يكون ذلك في دراسة قائمة، لكننا سنعمل على إظهار أن بن عبد الكريم كيفما كانت طبيعة كيانه لم يكن يتطلع إلى الانفصال عن سلطة السلطان، بل على العكس من ذلك تماما.

لقد جاءت تأسيس الجمهورية الريفية كمجرد إجراء مرحلي للتصدي للاستعمار، من دون أن يكون في ذلك أي خروج عن الشرعية الوطنية، ونعلم جيدا أن من سمات تقاليد الزعامة السياسية في تاريخ المغرب "النسب الشريف"⁷⁷ كان وهما أو حقيقيا، بمعنى نسب الإنتماء إلى ال البيت، وهو ما يتنافى تماما مع وضع محمد بن عبد الكريم الخطابي ، الذي كان ورياغليا من سلالة " إعبد كريمين" (ال عبد الكريم) المنتمية لفرقة أيت " زارعة أو أيت زاعا " بمدشر أجدير⁷⁸ من قسمة أيت خطاب الورياغلية التي تتكون من أيت يوسف أو عري (علي)، وأيت عري (علي) وأيت عبد الله. وقد اطلق على العائلة تسمية إعبد كريمين لكون اسم عبد الكريم يتكرر باستمرار في سلسلة نسبهم العائلي. وصحيح انه ذكر في مذكراته (مذكرات عبد الكريم) التي نشرت من طرف روجي ماتيو⁷⁹ أن أصل أجداده من بني زرعة من ينبوع الحجاز الا ان ذلك لم يكن بحثا عن الشرعية بقصد الاستيلاء على العرش ، بل فقط من اجل مواجهة هجومات الطرق الدينية عليه مثل (الطريقة الدرقاوية ببني زروال).⁸⁰ " سمي عبد الكريم نفسه أمير الريف، ورفض لقب السلطان ...، كما حظر على شعبه الصلاة من أجله في الجوامع أيام الجمعة"⁸¹ كما أنه " لم ينشء بلاطا، ولم يكن في أصبعه خاتم ولا عليه شيء من الشارات المعتادة للإمارة (...)، ولم تسكره فتوحاته المدهشة ولا أضع في ظفره

الحزم والروية"⁸² وعلى العكس " احتفظ ببساطته، لقد ظل يرتدي طوال فترة حكمه نفس الثياب المحلية الحياكة، ويقطن في منازل ريفية نموذجية، ويأكل الأطعمة الريفية المألوفة"⁸³ ولم يكن " في مظهر عبد الكريم ما يميزه عن سائر مواطنيه حتى البسطاء منهم"⁸⁴ كما أن كنيته " الخطابي" ليست لها أي صلة بالخليفة الثاني عمر ابن الخطاب كما ذهب إلى ذلك التهامي الوزاني في كتابه تاريخ المغرب من البداية إلى قيام الحركة الوطنية⁸⁵

وهكذا، فرغم أن الأمير أقام حكومة تستحضر نموذج " الجمهورية" بالمعنى الغربي إلا أنه لم يكن يسعى للحكم وأكد أن بيعته "ليست إمارة ملك وإما هي لإجتماع الكلمة، ولا يقبل من أحد أن يقابله بما تقابل به الملوك وإنما هو واحد من المسلمين، وأنه يتعين أن يعاملوه طبق ما كان عليه قبل الإمارة من غير زيادة في تعظيم منصبه الذي حل به"⁸⁶ و لا يوجد ما يوحي أنه كان يفكر في " استبدال مشروعية بأخرى".⁸⁷

وفي ذات السياق ، كان محمد بن عبد الكريم ينحدر من عائلة شغل أعضائها عدة وظائف في السلك المخزني وكانوا موالين للمخزن الشريف إبان حركة الروكي بوحارة⁸⁸ . ومما يدعم نية محمد بن عبد الكريم في الجهاد تحت لواء السلطان أنه عندما كان مجرد قائد للحركة المرابطة بتمسمان (ما عرف بجب القامة) أرسل " مبعوثين الى فاس يحملان رسائل إلى السلطان مولاي يوسف ضمنها أسماء الزعماء الرئيسيين لكل قبائل الريف الذين يعبرون عن رغبتهم في عدم الخضوع للحماية الاسبانية، مؤكداً أن السلطان هو وحده من له الحق في تولي القيادة العليا في جميع ربوع المغرب"⁸⁹ إضافة إلى حرصه على استمرار علاقته بالسلطان⁹⁰ وقد وجه في هذا الصدد نداء للمولى يوسف جاء فيه: " أن حكومة أجدير المؤقتة التي مهمتها الدفاع عن البلاد وحماية هذا الجزء الذي سلمته فرنسا لإسبانيا، لتلجأ إلى جلالكم لتعلنوا لفرنسا أنها بعملها هذا قد اعتدت على قسم من رعاياكم ، وأن الريفيين

(...) من أخلص رعاياكم كما عهدتم دائما، ولا مطمع لنا مطلقا إلا تحرير بلادنا من الدخلاء".⁹¹ كما أنه حاول الوصول إلى السلطان عبر وفده الذي أرسل إلى مدينة فاس محملا بهدية ثمينة، لكنهم فشلوا في ملاقاته السلطان بسبب منعهم من طرف السلطات الفرنسية، الأمر الذي حال دون استبيان السلطان لرغبة الخطابي من تأسيس الجمهورية. وقد توقع الخطابي ذلك فقال لمبايعيه: "إني أتوقع، إذا نصرنا الله عليه (الاستعمار الاسباني) ، فإن غير هذا الجنس (فرنسا) ربما لا يدعنا نتمتع في أرضنا في راحة وسكون، فإن الكفر ملة واحدة، لا بد من تداخلهم في شؤوننا وإن لم يصدر منا ما يوجب تراميهم علينا، ونحن انما نطلب حقنا في الدفاع عن وطننا(...)"⁹² ورغم ذلك استمر الخطابي والريفيون عامة في نداءاتهم للسلطان وللمغاربة عقب معركة أنوال لحثهم على التضامن والمؤازرة.⁹³

ما يستفاد مما سبق هو عزم الخطابي الدفاع عن استقلال المناطق الريفية⁹⁴ تحت سلطة السلطان⁹⁵ ، وقد ذكر أزرقان قول الخطابي في هذا الصدد: " لم يكن غرضنا التشويش على المخزن في أول الأمر، ولا الخوض في الفتن كيفما كانت، ولكن قصدنا الأهم هو الدفاع عن وطننا العزيز الذي كان أسلافنا مدافعين عنه..."⁹⁶ أما ما قام به ابن عبد الكريم على مستوى الحكومة من تعيينات وزارية فلم يكن سوى استجابة عملية لمرحلة استثنائية لاستثاب الأمن بمنطقة الريف، لاسيما في ظل وضعية السلطان المقيدة من طرف فرنسا التي كانت تمارس السلطات الفعلية⁹⁷ ، وتستعمل خاتمه للمصادقة على كل الظهائر.⁹⁸ "لم أفهم، لقد اعتقد الناس أننا سنعيد بعد الإنتصار للقبائل حكمها الذاتي، هذا ما كان يعني العودة إلى الفوضى والبربرية"⁹⁹ ويضيف في هذا الصدد: "... لم أكن أريد بهذا العرش، ولكن الفرنسيين حاولوا الإيقاع بيني وبين السلطان يوسف... أرادوا أن يدخلوا في روعه، أنني بتزعمي حرب الريف، أريد أن أغتصب عرشه..."¹⁰⁰ " ... وقد نجح الفرنسيون فعلا في اقناع السلطان بخرافة

العرش البديل".¹⁰¹ وطبعاً لم تقتصر الدعاية على القوى الفرنسية الموجودة بالمغرب فقط، بل حتى أيضاً الحكومة الفرنسية في الميتروبول لم توفر جهداً في ذلك، وإشارة الوزير "بانلوفي" أصرح في ذلك حيث أكد على فرنسا " أن تدافع عن مركزها في المغرب الاقصى و أن تقبل فقدانها لكل شمال افريقيا في ظروف مهينة"¹⁰² وكانت هذه الشائعات السبب وراء إفشال تجربة الجمهورية " ... سأكشف عن سر خطير و لأول مرة في حياتي، سبب فشل حرب الريف، وقد كنا من النصر قاب قوسين أو أدنى، لقد عشت وحدي أحمل هذا السر أكثر من ثلاثين عاماً، من يتصور، لقد أدخل الفرنسيون في روع سلطان مراكش، أنني أسعى بقيادة فرسان الريف إلى اغتصاب عرشه، وبدأ السلطان يحاربي، ويحارب الفرسان الذين حاربوا تحت قيادتي..."¹⁰³ وبمجرد استسلام الخطابي، استقبل السلطان المغربي من طرف رئيس الحكومة الفرنسي معبراً له عن فرحه بالقضاء على الحكومة الريفية ومن " استئصال دابر التمرد الذي دبره الأشقياء ضد شخصكم المحترم، وضد سيادتكم والولايات المشمولة بها ..."¹⁰⁴ ورد المولى يوسف¹⁰⁵ " ... لقد سررنا كثيراً أن لينا دعوة الحكومة الفرنسية، وقدمنا إلى هذه الديار بعد الانتصار الباهر الذي أحرزه الجنود الفرنسية والمغاربة الذي يرجع اليهم الفضل في قطع جرثومة العصيان من ولايتنا وتدعيم النظام والسلام في جملة الإيالة الشريفة..."¹⁰⁶

واخر ما سنسوقه لتبيان زيف الرواية الأجنبية بخصوص تطلع الخطابي للعرش، الرسالة التي بعثها محمد بن عبد الكريم الخطابي لليوطي والتي جاء فيها: سعادة الشير الأفخم السيد الجنرال ليوطي سلام على مقامكم وبعد:

فإني أرى من واجبي أن لا أضيع هاته الفرصة أعني حضور الشريف التجاني لأعبر لجنابكم في هاته الأسطر عما لنا من الشعور والإحساس نحو سعادتكم أرجو الله تعالى أن يحفظ مهجتكم وبطيل بقاءكم ويمتع الشعب المغربي الذي نحن جزء منه

ولا نود الانفصال عنه بأعمالكم الحسنة تحت ظل جلاله مولانا السلطان وحاشيتكم من رجال فرنسا المعظمة و أرجو من جنابكم أن تبلغوا سلامي العاطر لجلالة السلطان مولاي يوسف والسلام . محمد بن عبد الكريم الخطابي. أجدير في 18 جوان سنة 1923.¹⁰⁷

- السياق العام لريف ما بعد الاستقلال

- أحداث 1958 - 1959¹⁰⁸:

تعتبر الأحداث التي شهدتها منطقة الريف خلال الفترة 1958-1959 من أهم أشكال الصراع التي احتدت بين الدولة ومنطقة الريف .

تقدم الاسبانية ماريا كونسبثيون إيبارا Maria Concepcion Ybarra تفسيراً لهذا الصراع جاء فيه " بالدرجة الاولى لم يعط الملك محمد الخامس اي اعتبار لمنطقة الريف رغم انها كانت احدى المناطق القوية المعادية لفرنسا والمطالبة برجوع السلطان ، فضلا على ان ساكنة الريف كانوا اول المتطوعين في اطار جيش التحرير، الملك لم يستطع نسيان المشاكل التي سببتها قبائل المنطقة إبان خلقها لجمهورية خاصة بها أيام في عهد والده السلطان مولاي يوسف إلى حدود وفاة هذا الأخير في العام 1927 هذا من جهة ... من جهة ثانية على ما يبدو فلاوجود للريف ضمن أجندة الاصلاحات السياسية والاقتصادية للمغرب الجديد، فالقطاع الفلاحي لم يحصل على أي دعم عند وقوع الجفاف مما أدى إلى مجاعة حقيقية، كما تم استقدام قواد من الجنوب لتدبير شؤون الريفيين عوض أن يتم إسناد تلك المهام لزعماء القبائل المغربية في الشمال، ثم خضعت مناجم الريف وهي المصدر الوحيد للتصدير لمناورات خارجية، بينما تجسدت اهانة المنطقة الاخيرة في حرمانها من تمثيلية في الحكومة المغربية، وذلك راجع بشكل أساسي لعدم ثقة الملك ووطني حزب الاستقلال في المنطقة"¹⁰⁹ . وفي نفس السياق أعد القنصل الفرنسي تقريرا مفصلا بتطوان بعنوان الوضعية السياسية في المنطقة الشمالية،

يؤرخ له ب 30 يوليوز من عام 1957 ، بعد مرور سنة على اندماج المنطقة الشمالية بنظيرتها الجنوبية، وفيه تم التطرق بشكل مفصل للمشاكل التي أصبحت تعاني منها المنطقة الشمالية وأهمها المشاكل السياسية والإدارية ثم الثقافية.

وتجدر الإشارة إلى أنه خلال هذه المرحلة، كانت الأوضاع في الريف متوترة بشكل كبير " كانت هناك علامات تشير إلى أن اضطرابا سيقع في الأقاليم الشمالية أي الحسيمة والناظور وتازة... وعلى الرغم من عدم صدور أي تصريح رسمي لم يكن هنالك أدنى شك في أن التوتر في منطقة الريف كان أخطر بكثير من المناوشات التي وقعت مع عناصر الحركة الشعبية"¹¹⁰ وكتب اشفورد عن مضمون اللقاء الذي عقد بين القصر وعدد من رجال قبائل الريف قائلا: " أبدى رجال القبائل استياءهم من أعمال الظلم التي كان يرتكبها رجال الإدارة المحليون، كما أبدوا عدم رضاهم لقلّة تعيين عدد من أفراد قبائلهم في الوظائف، وأظهر من كانوا من رجال جيش التحرير المتمرسين في الحرب وحضروا كأعضاء بهذه البعثة أنهم لم ينالوا الحظوة اللائقة بهم من لدن الحكومة"¹¹¹. ولا يسع المجال هنا لمناقشة كل التفاصيل. لكن بعد خطاب العرش ستسوء الأوضاع أكثر بني ورباغل التي أصبحت بها حركة منظمة بقيادة الشريف محمد سلام أمزيان¹¹²، وانضمت لها قبائل بني يطفة وبني بوفراح - بني جميل - بني بشير، وبعدها تم الزحف نحو أجدير والحسيمة.

ومن جهتها بدأت الدولة تنظر للأحداث بعين الريبة، موجهة لها تم الانفصال من خلال جريدة العلم (لسان حزب الاستقلال) في مقال لها بتاريخ 7 دجنبر 1958، حينما أكدت أن أحداث الريف لها طابع انفصالي¹¹³، مبررة ذلك بتسمية الحركة "بالجبهة الريفية"¹¹⁴

ومع بداية سنة 1959 بدأت مناورات الدولة لسحق الريف عند وصول الحسن الثاني رفقة الجنرال أوفقيير، إذ تم إعطاء مهلة لا تتعدى 48 ساعة لاستسلام المحتجين وهو ما تم رفضه، لتنتقل الهجمة الشرسة ضد الريف راح ضحيتها عدد مهما من القتلى والجرحى

والمعتقلين. لتكون بذلك الطريقة التي تم التعامل بها مع هذه الاحداث من أكثر التدخلات عنف في تاريخ المغرب و أسوئها على الاطلاق . ويتذكر الباحث محمد أقضاض الاحداث، بصفته ابن للمنطقة، ومعايشا للواقعة على النحو التالي: " ... بدأنا نسمع أن العسكر قضى على الريفيين هناك، قتلوا الرجال والأطفال واغتصبوا النساء ومثلو بأجسادهن، بل بقروا بطون الحوامل، كانوا يضعون القنابل في قب جلايب الرجال ويفجرونها ، أو يجرونها الى اقدام ولي العهد ويذبحونهم، أو يحملونهم في الحوامات ويرمونهم في البحر، سميت هذه العملية ب "عملية المسح"، مسح السكان من الأرض. كان الجميع ينتظر أن يسمح العسكر الريفيين هناك في الحسيمة ونواحيها، ثم يعودون إلى قبائل قلعية، في مدينة الناظور ونواحيها لينتقموا منا"¹¹⁵ وفي فبراير من نفس السنة تعرضت قوى الريف إلى القصف الجوي لمدة أسبوع .¹¹⁶

- حركة يناير 1984:

لقد كانت هذه الحركة عامة بالمغرب ، وصفت بانتفاضة " الخبز"، وقد شملت ما يناهز خمسين جماعة محلية، وقد بدأت باحتجاج التلاميذ بمراكش، قبل أن تشمل مدنا أخرى مثل الرباط وأسفي ومكناس وأكادير، ثم الحسيمة فالناظور وتطوان ، ضدا على غلاء المعيشة . وبعد ان انتهت المظاهرات يوم 11 يناير بمراكش، انتقلت إلى الشمال، وبالضبط للحسيمة والناظور وتطوان. لتندلع اضطرابات خطيرة تخللتها أعمال نهب للمرافق العمومية والمحلات التجارية وإحراق السيارات.، وأفادت المصادر الوطنية وجود خسائر بشرية حصر عددها في ستة عشر قتيلا، في حين صرحت المصادر الاسبانية بسقوط ما بين ستين ومائة قتيل، كما تمت اعتقالات عديدة وظلت هذه المدن محاصرة لعدة أيام من طرف القوى الأمنية، ولم تهدأ الأوضاع الا يوم 23 يناير.¹¹⁷

وعن نتائج حركة يناير 1984، بالريف تحديدا، فيمكن القول بأنها كانت سلبية للغاية على مستوى التطور العام لعلاقة الدولة بالمنطقة، إذ لأول مرة في تاريخ المغرب، سيتم وصف ساكنة منطقة معينة في خطاب رسمي " بالأوباش" الذين حددهم الملك في

"فئة العاطلين الذين يعيشون على التهريب والسرقة"¹¹⁸، ليصبح معطى يستثمر على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، لازل حاضرا إلى اليوم.

الخلاصة العامة:

تصل بنا استنتاجات هذه الورقة إلى التأكيد على أن ما يعيشه المجتمع الريفي اليوم من احتجاجات، بها جزء كبير من "المظلومية التاريخية" لأن أفراد الريف كانوا ولا يزالون دائمي البحث عن امكانية لخلق علاقة اجتماعية مع أجهزة الدولة، من خلال وعبر " الصراع" لأن هذا العامل هو امكانيتهم الوحيدة للتأكيد على ضرورة التعامل مع المجتمع بجميع فئاته، وضمان كرامتهم.¹¹⁹ وهو ما يفسر أن احتجاجات الريف كانت تركيبا لجيلين من الحركات الاحتجاجية: جيل تهم مطالبه ما هو مادي ذو طبيعة اقتصادية و اجتماعية، وجيل الحركات الاحتجاجية ما بعد المادية، المرتبط بمطالب رمزية هوياتية، و تم التركيب بين كلا الجيلين، فساكنة الريف تعبر عن نفسها كجماعة تقليدية تجمعها روابط، وتاريخ مشترك عريق (التصدي للاستعمار الاسباني - الفرنسي - الانتصارات التاريخية من خلال: معركة أنوال - أبران- توفير الحشود اللازمة لجيش التحرير -...) تعرض للطمس، إذ دائما ما وجدت ساكنة الريف في قلب أزمت عهد الحماية، لذلك، من الطبيعي، بعد الحماية، أن تدخل الهوية الريفية من خلال احتجاجاتها في صراع من أجل انتزاع الاعتراف - لاسيما أحداث الحراك الأخيرة - كنوع من المقاومة بالحيلة بتعبير جون سكوت¹²⁰ وصحيح أنه إبان ما عرف ب " العهد الجديد" عرفت العلاقة المتوترة بين الدولة والريف نوعا من " الصلح المرحلي" إلا أنه سرعان ما ستعود الامور إلى سابق عهدها - لاسيما- بعدما تبين عجز الدولة عن إرساء مصالح تاريخية حقيقية مع هذه المنطقة، ومحاولتها طمس الكثير من الحقائق التي همت سنوات الرصاص ، والحقيقة التي لا تقبل التجاهل، هي أن طريق المصالحة مع الريف شائك وطويل.

¹ باحثة بعلم الاجتماع من المغرب بجامعة محمد الخامس، وتحضر حاليا لأطروحة دكتوراه تحت عنوان : الإرث التاريخي لمنطقة الريف وعوائق تنميتها : دراسة ميدانية لإقليم الحسيمة"

² هي عبارة عن حركة قادها مبعوث السلطان القائد بوشقي البغدادي، والتي كانت من أكثر الحركات عنفا وشرارة ، وقد اعتبرت كرد فعل أو انتقام من هزيمة المخزن في الحملة التأديبية الأولى برئاسة عبد السلام الامراني الملقب ب " بوثامنت". راجع : احمد المفتوح يوقراب ، رحلات البحث عن جذور الضباب ، الجزء الثاني، مطبعة الخليج العربي، 2019، ص 62.

³ «الناس دبال الشمال راهم عارفين ولي العهد، وحسن ما يعرفون الحسن الثاني في هذا الباب » وهو ما ترك جرحا عميقا في ذاكرة المنطقة، لازل حاضرا إلى حدود اليوم.

⁴ كثيرا ما تم الحديث عن "السيبة" عند الحديث عن الخصائص البنوية للتنظيم الاجتماعي الريفي. فكانت بلاد السبية هي بلاد العصيان التي ترفض ساكنتها السلطة الزمنية للسلطان ويقبلون فقط بسلطته الروحية ، مقابل بلاد المخزن الخاضعة " لرقابة الحكومة حيث يطبق الشرع الاسلامي" وهو على النقيض عن ما تؤكدته فما تؤكدته الوثائق المخزنية المركزية والمحلية التي أظهرت وجود اتصال دائم ما بين القبائل الريفية والمخزن حتى في أطول فترات الغياب و أشدها، كما أن القبائل كانت تؤدي ما عليها من واجبات، مع بعض الاستثناءات القليلة حيث مثلا كان يسود في سنوات القحوط والجفاف او بسبب أعباء مواجهة التغلغل الأروبي (أنظر في هذا الصدد رسالة موجهة من المولى الحسن إلى القائد حدو الورياغلي، 6 ربيع الثاني 1301/1884، كناش 348،ص 321، الخزانة الحسينية) وكذلك عبد الرحمان المودن، العلاقة بين المجتمع القروي والدولة في مغرب القرن التاسع عشر، قبائل ايناون والمخزن 1873-1902، د. د. ع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الجزء 2 1984 ص398.

⁵ Marc Ferro. L'Histoire sous surveillance . Science et conscience de l'histoire. (Paris ; Gallimard. 1987)

⁶ أقسم بالله العلي العظيم

أن لا أخون

وأن لا أساوم

وأن لا نبيع قضيتنا

ولو على حساب حياتنا

عاش الريف عاش الريف عاش الريف

ولا عاش من خانه

⁷ للتاريخ دور هام جدا في ربط الماضي بالحاضر، راجع:

M. Halbwachs. La mémoire collective . édition critique établie par Gérard Namlar .Paris . Albin Michel. 1997. PP 1-130.

Nora. P. les lieux de mémoire . Paris . Gallimard. Bibliothèque illustrée des histoires .3 tomes

La question du sens en anthropologie :⁸ M. AGier. Pauvreté . culture. Exclusion Sur la route d'Istamboul : E. Le Bris (Coord.par) Villes du Sud :urbaine . In IRD éditions .:

⁹ G. Maurer. Les paysans du haut rif central . R. G. M. N. N° 14. 1968. P 20.

¹⁰ G. Maurer. Les milieux naturels et leurs aménagements (Rif – Telle Méditerranée. N 1-2. 1979.

¹¹ حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المختلة 1415-1574، دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1990، ج2، ص448.

¹² مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق إبراهيم الايباري، الطبعة الأولى، بيروت 1981، ص 61، (وقد جاء في كتاب عبد الرحمان الطيبي : الحدود الجغرافية -التاريخية لقبائل الريف الأوسط ، مجلة حوليات الريف ، العدد 1، السنة الأولى 1998، ص ص (46-45).

¹³ عبد الرحمان الطيبي، الريف قبل الحماية، قبائل ساحل الريف الأوسط 1860-1912، الناشر: ثيفرانز عاريف، الطبعة الأولى، 2008، ص21.

¹⁴ لقد أشارت العديد من المصادر الأجنبية إلى ذلك مثل:

Cerdeira clemente. Apuntes para la historia del Rif.Madrid.1926.PP8-15.

ولأخذ فكرة أكثر وضوحا يمكن الرجوع بهذا الصدد إلى: عبد الرحمان الطيبي، م، س، الفصل الأول حول قبائل ساحل الريف الأوسط حتى منتصف القرن 19م.

¹⁵ أول اشارة عن الريف بشكل واضح كانت مع عبد الحق بن اسماعيل البادسي، في كتابه المهتم بذكر صلحاء الريف ، وفي سياق حديثه عن مناقبهم ضمن معلومات في غاية الاهمية حول المجال الذي ينتمي اليه، والذي حدده ما بين سبتة وتلمسان. (البادسي، المقصد الشريف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1982، ص ص 15-50.

¹⁶ المرجع نفسه ، ص ص 200-201.

¹⁷ لمزيد من التفاصيل حول حدود الريف انظر: احمد البوعياشي، حرب الريف التحررية ومراحل النضال، ج1، نشر عبد السلام جسوس و سوشيريس(د.ت)، مطبعة دار الامل، طنجة، ص 107.

Le Maroc face aux impérialisme 1415-: ¹⁸ André Julien
1956.Ed.J.A.Paris 1978.P.121
¹⁹ نفسه، ص ص 23-24.

²⁰ لقد كانت هذه النقطة مثار نقاش وموضوعا للمواجهة الفكرية بين الباحثين، ففي أواخر القرن الثامن عشر برز مدلول جديد للريف، وفيه تم ذكر الريف ومنطقة جباله، دون منطقة غمارة، حيث تم إدماج قبائل غمارة ضمن إقليم الهبط (أي جباله)، لتصبح حدود الريف ما بين غمارة غربا وانجاد شرقا كما اشرنا سابقا في بداية الدراسة ، وقد تجسد هذا الأمر في كتابات القرن 19 م مع أوجست موليراس في كتابه " اكتشاف الريف"، المكون من جزئين الأول بعنوان " اكتشاف الريف"، والثاني بعنوان " اكتشاف جباله" ليحدد هذه الأخيرة على النحو التالي « تقع منطقة جباله جنوب الريف وتشغل كل الساحل المتوسطي، انطلاقا من الحدود الغربية لهذا الإقليم، بالإضافة إلى شريط بالساحل الشمالي للمحيط الأطلسي »

محمد المباركي، بعض المعطيات حول الدولة والمجتمع خلال المغرب القديم ، في كتاب : جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، مشترك، إفريقيا الشرق، الطبعة الاولى 1992، ص ص (111 - 159).

ويمكن الرجوع في هذا الصدد إلى: عبد الرحمان الطيبي، مرجع سابق، ص 48

²¹ عبد الرحمان الطيبي، الريف قبل الحماية، قبائل ساحل الريف الأوسط 1860-1912، م، س، 2008، ص8.

22 تختلف هذه الأقاليم الأربعة المشكلة للمجال الريفي عن بعضها من حيث التشكلات السكانية و السنينة، لكنها تشترك في تنظيمها سوسيو- مجالي المتشابه، تعرضها للاحتلال الاسباني- والتشارك في بنية اقتصادية هشّة تقوم على التهريب (حالة الريف الشرقي)، وزراعة الكيف (حالة الريف الأوسط والغربي)

23 هناك العديد من الدراسات التي تناولت مؤسسة المخزن في سياقات مختلفة، والتي تركزت جلها في القرن التاسع عشر، وأبرزها المدرسة الكولونيالية، ليعتبره ادمون دوتي E. Douité بمثابة مؤسسة مفروضة على المجتمع. ورأى H. Gaillard (لثايار) على أنه « المركز الذي يجتمع حوله الجهاز المكون من الغزاة، والمسند قوته من وحدته وتجانسه وتنظيمه، على حساب التشتت والفوضى السائدين بالبلاد الذين يستثمرون من قبله في جلب أكبر الفوائد الممكنة. » و أيضا ميشو بلير Michaux-Bellaire كان حاضرا من خلال العديد من المقالات حول جهاز المخزن، الى جانب روبرير مونتاني R. Montagne و رينيي Reynier الذي قام بتقديم تعريف لمصطلح المخزن ومكوناته بدءا من العهد السعودي.

لمزيد من التفاصيل بهذا الخصوص راجع :

H/ Gaillard. Le makhzen . étendue et limites de son pouvoir. In Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord. 1909. Pp 9-348
Edouard Michaux-Bellaire . L'administration au Maroc . in Bulletin de la société de géographie d'Alger . 1999. PP 37-401.

A.Reynier. l'ancien maghzen. 1550-1912. Conférence donnée par M. le Controleur civil Reynier pour la Direction générale des affaires indigènes. Rabat. Publications de la résidence générale de France au Maroc. 1930.

ولأخذ فكرة أكثر وضوحا حول الكتابات الكولونيالية أنظر: ابراهيم بوطالب، البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي في الفترة الاستعمارية: حصيلة وتقويم، ضمن: البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1989، ص ص 107-173.

كما كان المخزن موضوعا للعديد من الدراسات الوطنية، بعد الحصول على الاستقلال، نذكر من بينها: محمد حجي، جرمان عياش، عبد الله العروي، الذين ذهبوا في اتجاه اعتبار المخزن سلطة غير منفصلة عن المجتمع. إضافة إلى مصطفى الشابي بدراسته حول: النخبة المخزنية في القرن التاسع عشر- و ابراهيم حركات (السياسة والمجتمع في العصر السعودي)- إضافة إلى عبد المجيد القادوري الذي وقف على العوامل التي أعاققت طريق السياسات التحديثية للمخزن المغربي من العهد السعودي إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله- ثم علي المحمدي (النسق المخزني ومسألة الاستمرار: التقليد والتجديد)، أضاف إلى ذلك دراسة مصطفى بوشعراء حول علاقة المخزن بأحوال سلا: قبيلة بني أحسن 1912/1860- و مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر²³، و ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي.

مصطفى بوشعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا، قبيلة بني أحسن 1860-1912، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 19، الطبعة الأولى، 1996.

انظر: A. Laroui . Histoire du Maghreb . un essai de synthèse . paris : 1970. G. Ayache. Etudes d'histoire marocaine . Rabat . 1979. G. Ayache . la fonction d'arbitrage du makhzen . in recherches récentes

sur le Maroc moderne . actes du séminaire tenu du 13au 15 juillet
1977. A Durham . Rabat. BESM.1977.

مصطفى الشابي ، النخبة المخزنية في مغرب القرن 19، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الطبعة الاولى،
1995.

ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1987.
وفي نفس السياق نستحضر دراسات مونوغرافية مثل : قبيلة اينولتان لأحمد التوفيق، إلى جانب عبد الرحمان المودن الذي
تناول ركائز السياسة المخزنية خلال القرن التاسع عشر بمنطقة إيناون، و محمد مزين الذي ركز على الروابط التي جمعت
بين فاس وبواديها بالسلطة السعدية.

ثم مرسدیس غارسیا أرنال Mercedes Garcia – Arenal من خلال مقالاتها حول المخزن، ودراستها المعنونة
ب " بداية المغرب الحديث تحت حكم أحمد المنصور السعدي" و ريتشارد سميث الذي لديه اسهامات هو الاخر حول
نفس الموضوع.

راجع : عبد الرحمان المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، إيناون والمخزن، بين القرن السادس عشر والتاسع عشر،
الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

M. Garcia- Arenal. Ahmad al-Mansur. The Beginnings of Modern Morocco.
Oneworld Publications United Kingdom. 2008.

M.Garcia-Arenal. Pouvoir sacré et mahdisme. Ahmad Al-Mansour Al-Dhahabi.
In AlQantara. Revista de estudios arabes . vol. 17. Fasc. 2. 1996.

R.L.Smith.Ahmad Al-Mansur . Islamic Visionary.Library of Word Biography
Series. Longman Publishers.2006.

M.Lahbabi. le gouvernement marocain à l'aube du XX siècle . Casablanca
. Editions maghrébines. 2 éd. 1975

و لباحثين من خارج التاريخ، اسهامات أيضا مثل: محمد الحيايبي الذي عمل على تحديد معالم الهياكل المخزنية المركزية،
وذلك خلال بداية القرن العشرين. ويول باسكون P.Pascon بتناوله لطبيعة العلاقات التي جمعت المخزن بالبنيات
الاجتماعية، وبخاصة مؤسسات الزوايا ، أنظر:

M.Lahbabi. le gouvernement marocain à l'aube du XX siecle . Casablanca .
Editions maghrébines. 2 éd. 1975.

P.Pascon . Le Haouz de Marrakech. Rabat – Tanger . Editions marocaines
et internationales . 1977.2 vols.

وما دمنا نتحدث عن الاسهامات العلمية حول مؤسسة المخزن ، لا يمكن أن نغفل الدراسة القيمة ل عبد اللطيف
أكنوش و R.Cherifi. هذه الاخيرة التي اعتبرته "المخزن السياسي بين الأمس واليوم" والتي اعتبرت على أنه عبارة
عن « أسلوب عمل وحضور، وأسلوب حكم خاص، يتدخل حين تتعطل إيوليات الدولة»

politique au Maroc. hier et aujourd'hui. R.Cherifi. Le makhzen
Casablanca.Afrique-Orient.1988.P 14.

A.Agnouche. Histoire politique du Maroc. Pouvoir. légitimités et institutions. Casablanca. Afrique Orient.1987

وعموما ولأخذ فكرة واضحة حول مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب يمكن الرجوع إلى : محمد جادور، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، سلسلة أبحاث، الدار البيضاء، 2011

²⁴ ليليا بنسالم، التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم، الاثنوبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، الدار البيضاء، 1988، ص22.

²⁵ يعتبر ارنست اكلينر على أن النظرية الانقسامية هي النموذج الأمثل لتحليل التنظيم الاجتماعي ل « جميع قبائل شمال إفريقيا » E.Gellener.Système tribal et changement social.op.cite.P4..

وفي حديثه عن القبيلة الانقسامية أشار إلى أن « النظام القبلي المميز للبيئات الانقسامية بصفة عامة، هو نظام تعارضات متوازنة، ولا يمكن أن تكون السلطة القبيلة متركزة فالسلطة موزعة عن كل نقطة من البنية القبيلة(...) كما ولا يمكن أن تكون هناك أية سلطة مطلقة تمنح لشيخ واحد من القبيلة مادامت القاعدة الأساسية للقبيلة هو التعارض بين قطاعاتها » نفسه، ص4.

²⁶ بالنسبة لدافيد هارت لقد نبه رفقة ر. جاموس في دراستهما للقبيلة الريفية إلى ضرورة الابتعاد عن كل " تعميم قد يؤدي الافراط في الى اسقاط نفس النموذج على حالات تستدعي تعميق التحليل" ليليا بنسالم، التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم الاثنوبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي: ترجمة عبد الاحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، 1988، ص 22.

« (...) يخلص الباحث (ر. جاموس) إلى أن هناك تعارض بين النموذج الانقسامي وبين علاقات السلطة من داخل المجتمع القلعي، لكن هذا التعارض ليس تعارضا بين " الإيديولوجي" و " الإمبريقي"، ولا بين المثال والممارسة، بل هو تعارض بين نموذجين من العلاقات السوسيو- سياسية (socio-politique) القائمة على ارض الواقع. وفي هذا السياق، فقد أكد الباحث على ان النموذجين يشكلان معا جزءا مندمجا من نسق التمثلات والقيم المبنية على أساس نظام العرض، وبالتالي لا يمكن إقصاء احدهما لصالح الآخر، بل على العكس من ذلك، فهما يشكلان كلا متمفصلا (articulée). » محمد جحاح ، الزاوية بين القبيلة والدولة ، في التاريخ الاجتماعي والسياسي للزاوية الخمليشية بالريف، اغريقيا الشرق ، 2015، ص 125. ²⁸ Ibid.P183.

²⁹ يفيد ما ذكر بأحد المؤلفات على أن المنطقة لم تكن تحت أي سلطة مخزنية خلال بعض الفترات على سبيل المثال: الفترة التي حدثت فيها مواجهة بين الجيش المخزني وبين القبائل الريفية في عهد المولى سليمان. لأخذ فكرة أوضح يمكن الرجوع إلى عبد الرحمان الطيبي، م،س. وسنكتفي بما ذكره الباحث عبد الرحمان الطيبي: مجهول، حركات المولى سليمان، مخطوط دون تاريخ، توجد نسخة منه عند الأستاذ احمد المنصور، ص 8.

³⁰ جرمان عياش، المجتمع الريفي والسلطة المغربية المركزية، دراسات في تاريخ المغرب، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التسماني خلوق، الدار البيضاء، 1986، ص 285.

³¹ أشار عبد الرحمان الطيبي في هذا السياق إلى وجود رسالة سلطانية إلى المرابط محمد الحضري ، 22 ربيع الثاني 6/1294 ماي 1877 وردت في إحدى المؤلفات الاسبانية . انظر عبد الرحمان الطيبي، م،س، ص 246 – 262.

³² نفسه، ص 246.

³³ يشير محمد الحيايبي في هذا السياق إلى عدم وجود أي «تناقض بين اللامركزية الإدارية المحلية وبين التماسك الحكومي الوطني ما لم يجد الفيوداليون المحليون دعما خارجيا يجعلهم يحيلون تلك اللامركزية وهذا التماسك وهما من الأوهام ».احمد التوفيق ،

الاجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (ايلولتان 1850-1912) منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط ، رسائل وأطروحات رقم 63، ص 470.

³⁴ لم يذكر أي اسم للقبائل المعنية بالتحديد في الوثيقة. أنظر بهذا الصدد: رسالة من القائد علي بن محمد الحاحي إلى السيد محمد بن العربي بن المختار الجامعي، بتاريخ 2 شعبان عام 10/1297 يونيو 1880، محفظة غير مرقمة ، 87، الخزانة الحسينية بالرباط.

³⁵ أنظر: جرمان عياش، الوظيفة التحكيمية للمخزن، في دراسات في تاريخ المغرب، ترجمة محمد الأمين البراز، ص 153.

³⁶ A. Moulieras. Le Maroc inconnu. Op. cit. Auguste Moulieras. Le Maroc inconnu. T.1. Exploration du Rif . Oran. 1895.P 47

³⁷ احمد سكيح ، الظل الوريث في محاربة الريف، دراسة وتحقيق : رشيد يشوتي ، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2010، ص 41

³⁸ عبد الرحمان الطيبي، م، س، ص 286

³⁹ كانت هناك موجة تأييد حظي بها بوحامرة من طرف بعض القبائل القريبة من تازة في وقت سابق ، لكن لهذا التأييد سياق تاريخي معين ، يتمثل في منع المخزن . تصدير الايقار إلى الجزائر (قرار 1898)، وقد تأثرت القبائل بشكل كبير من جراء ذلك. وإبان السنوات السبعة التي أقام فيها السلطان إلى جانب حاشيته بمراكش، اتخذت هذه القبائل وضعاً مستقلاً إلى حد ما عن المخزن المركزي. كما أنهم سمعوا بالإشاعات التي كانت تروج حول كون السلطان يحيى حياة النصارى. وهو ما استغله بوحامرة لصالح حركته راجع :

G.Delbrel. De fez à l'Oranie .la géographie 1900. PP 82-167.

كما كانت قبيلة بقبوية قد تعاطفت مع بوحامرة في وقت لاحق ، وهو ما يظهر من خلال هذه الرسالة : « بلغنا ان احمد ابن المعلم احمد الزغاري البقبوي مشتغلا بما لا يعنيه مما يستحق به النكال عاجلا، والوبال اجلا ومنهمكا في الفساد والانحياش لذوي البغي وفسى في القبيلة عتوه وتمرد ، وحيث كنتم على مانعلمه منكم من السعي المحمود غير راضين بما هو عليه ذلك المتمرذ كتبنا لكم هذا بالاذن لكم في القبض عليه قطعاً لفساده وتظهيراً للقبيلة منه واشفاقاً على ضعفاء الرأي منهم من متابعتهم له فيحل بهم مايجل به... » رسالة النائب الطريس إلى قبيلة بقبوية ، بتاريخ 24 جمادى الاولى 18/1321 غشت 1903، كناش، 763، ص 255، (خ.ح.) أوردها عبد الرحمان الطيبي، م، س، ص 294 لكن لذلك ايضا سياق تاريخي ، فناشد المخزن قبيلة بني ورياغل « خدامنا الارضيين كافة قبيلة بني ورياغل اخص اعيانهم وكبراهم .. وبعد فنامركم أن تعجلوا بتوجيه حركتكم للربط مع خدامنا الامين الطالب احمد الركينة والقائد عبد الرحمان بن الصادق صحبة اهل الحل والعقد منكم بقصد تحقيق صلاحكم واستقامتكم والنظر في حفظ مصالحكم وبناء أموركم على أساس الصلاح (...). فإن إمهالككم عن جمع حركتكم وربطكم بما مع مددنا السعيد المشار له لم يبق لكم فيه عذر ولا عائق وقصدنا بإرشادكم أن تتحقق منكم ما تلمحناه من انتهاج أقوم الطرائق فلتنهضوا بما للربط مع من ذكر عزمنا دون مهلة فنحن في انتظار ما يظهر منكم » رسالة من مولاي عبد العزيز إلى قبيلة بني ورياغل، بتاريخ 22 جمادى الأولى، 16/1321 غشت 1903، مح 420/11. خ، ح، أوردها عبد الرحمان الطيبي، نفسه.) وهناك رسائل أخرى أرسلت للعديد من قبائل الريف الأوسط مثل: رسالة من السلطان إلى قبيلة بني يطف، بتاريخ 27 ربيع الاول 23/1321 يونيو 1903، مح، 420/11، خ، ح. . ما جعل المخزن يتوجع إلى الشرفاء لمساعدته كما توضح المراسلة التالية : « حظ الناس على التمسك بالطاعة وعدم الخروج عن السنة والجماعة ». (رسالة من مولاي عبد العزيز إلى الشريف

عبد الكرم بن ابراهيم الوزاني، بتاريخ 22 شوال 11/1321 يناير 1904، أوردها عبد الرحمان الطيبي، نفسه. إلا أن هذا الأخير استطاع استمالة عدد مهم من الريفيين وبدأ القلق يتسلل إلى دواليب السلطان واتباعه « (...) وصل كتابك بأن قبائل الريف الذين يتسوقون من طنجة وفاس وتطوان، إذا رجعوا لقبيلتهم وأماكنهم يسألهم أهل نواحيهم عن اخبار المخزن، فيخبرونهم بما ذكرت، طالبا أن نخبرك بالواقع، أعلم أن جميع ما يبلغونه أولئك الكذابين المحبون لايقاظ نار الفتن بالباطل لا أصل له، بل الامور جارية على مقتضاها بوجود مولانا نصره الله والمخزنية في غاية ما يكون من الانتظام والاتقان » رسالة من النائب الطريس إلى القائد علال بن كروم القلعي، بتاريخ 28 جمادى الثانية 9/1322 سبتمبر 1904، أوردها عبد الرحمان الطيبي، نفسه.

⁴⁰ لم نتعرض للتفاصيل التي ادت الى قيام حرب تطوان بين المغرب واسبانيا ، أولا لأن ما كتب حول ذلك كثير، وثانيا لأن ذلك ليس مما يهم موضوعنا، فما يخدم سياقنا يتجلى في موقف قبائل الريف من مشاركتهم فيها .
⁴¹ أنظر : محمد داود، تاريخ تطوان، القسم الثالث، المجلد الرابع، عدد 12، تطوان، 1964.

⁴² يعتبر الدفاع عن البلاد ضد أي خطر أجنبي من طبائع أهل الريف أنظر : جرمان عياش ، م،س، ص 177

⁴³ محمد بن أحمد الشرايط، كشف الحجاب عن الأخبار الخاصة بحروب المجاهدين الأبرار، تحقيق وتعليق: محمد ابن عزوز، لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية ، الجزء 1، تطوان، 1979، ص 158.

⁴⁴ محمد داود ، م،س، عدد 11، ص 235.

⁴⁵ رسالة من النائب الخطيب الى السلطان، بتاريخ 5 شعبان . 27/1276 فبراير 1860، اوردها محمد داود ، نفسه، ص 235. واوردها ايضا عبد الرحمان الطيبي، م،س، ص 368.

⁴⁶ نفسه ، ص ص 242-252.

⁴⁷ رسالة سلطانية إلى محمد اخمليش، بتاريخ 21 جمادى الاولى، 17/1276، دجنبر 1859. أوردها عبد الرحمان الطيبي ص 330، نقلا عن محمد داود ، م،س، ص ص 156-157.

⁴⁸ أنظر: عبد الرحمان الطيبي، م، س، ص 331.

⁴⁹ نفسه ، ص 116

⁵⁰ رسالة من الأمين أحمد العسري إلى النائب الطريس، بتاريخ 24 جمادى الثانية 1329هـ/ 13 يوليو 1909، مح 29/90 الخزانة العامة، تطوان.، أوردها ايضا عبد الرحمان الطيبي و الحسين الإدريسي/ التربية والتعليم في برنامج محمد بن عبد الكرم الخطابي: تقدم وتحليل مخطوط، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط. ص 54.

⁵¹ نفسه، ص 119.

⁵² يذكر في المصادر التاريخية أن عدد المجاهدين وصلوا الى منطقة قلعية في يوم 18 يوليو سنة 1909. كما جاء تحديد عدد المجاهدين في تقرير عسكري لحاكم النكور إلى حاكم مليلية، بتاريخ 16 يوليو 1909. انظر: عبد الرحمان الطيبي، م، س، ص 370.

⁵³ العربي الورياشي ، م،س، ص 123.

⁵⁴ إغزراشن هي التسمية التي يعرف بها هذا الوادي لدى الساكنة والتي تعني في المعنى الريفي " وادي الذئب" . ويعرف عند الاسبانيين ب « El barranco del lobo »

⁵⁵ وهو ابن الحاج محمد بن حدو بن البشير بن أحمد بن أحمد ابن عبد السلام بن صالح بن أحمد بن ابراهيم التفالي بن صالح بن يحيى بن بعلى بن عبد العلاء بن اسحاق بن أحمد بن سليمان بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي وفاطمة بنت الرسول (صلعم) العربي الورياشي، الكشف والبيان، تطوان، 1976، ص 25.

Germain Ayache . la guerre du Rif. L'Harmattan . 1996. P 82. Note n°37. ⁵⁶

.155-154

⁵⁷ كان يهدف إلى إنزال القوات الاسبانية إلى خليج الحسيمة، وذلك في العام 1913، عندما تمكن بفعل السياسة المالية من استمالة أعيان من فرقة أحدير عن قبيلة بني ورياغل وبقيوّة، إضافة إلى بني يظفت وبني بوفراح . أنظر: عبد الرحمان الطيبي، م،س، ص 372.

⁵⁸ انظر عبد الرحمان الطيبي، م،س، ص 337.

⁵⁹ وهو كوميز خوردانة G. Jordana .

⁶⁰ أوردها عبد الرحمان الطيبي، نفسه، ص ص 336-337. أنظر أيضا لمزيد من التفاصيل: جرمان عياش، المجتمع الريفي، م،س، ص 216.

⁶¹ تفاصيل حول حرب الريف التحررية: جرمان عياش، Germain Ayache . la guerre du Rif. L'Harmattan . 1996. P 82. Note n°37.

Germain Ayache. Les origines de la guerre du Rif. Publication de la Sorbonne-Smer . Paris- Rabat. 1981

⁶² جاء ذلك بطلب من رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية السيد احمد امين.

⁶³ هو شيء أقر به علال الفاسي نفسه في كتابه وبالضبط في الهامش رقم 1، ص 116 من كتابه . وللتأكد من صحة قولنا راجع : علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طبعة تطوان، ص ص 121-122. ومؤلف عمر ابو النصر، بطل الريف...، م،س، ص ص 131-134. نفسه ، طبعة المغرب، سنة 2005، ص 62.

⁶⁴ والواقع أن ما تم نقله لا يرجع للمذكرات ابن عبد الكريم" التي دوخها الفرنسي روجي ماثيو، إذ أن عمر أبو النصر حذف العيد من الأفكار بهذه الترجمة وأدخل بها ما اخذه بدوره عن رشدي الصالح من دون أن يشير لذلك مما جعل الكثير من الكتاب بعده يسقطون في فخ الإعتقاد بأنها ترجع لابن عبد الكريم نفسه، وهذا الخطأ الشائع لم يفتن له الكثيرون وبالمقابل سقط فيه العديد مثل محمد العربي المساري. وعلال الفاسي الذي أصبح كتابه مرجعا خاطئا للكتاب المغاربة الذين سيأتون بعده باستثناء فئة قليلة (عبد المجيد بنجلون بكتابه: هذه مراكش، محمد داود، عبد الكريم غلاب الذين كانوا أقرب شيئا ما الى ما جاء شكيب ارسلان)

⁶⁵ أصبح الأمير الريفي بعد مبايعته بسلطة دينية ودينية تتجاوز سلطة الزعماء القبليين (الأمازيغ) وكانت له شرعية استمدتها من عقد البيعة، كما لم يكن في حاجة الى نسب شريف او دعوات دينية بل اجمع عليه العامة كأمر للمجاهدين " اجمع عليه اولوا العقد والحل واصحاب الكلام فيما قل وحل، ومن يوصف بعلم وقضاء، ومن يرجع اليه في رد وامضاء ولم يخالف فيها امام مسجد ولا خطيب ولا ذو فتوى يسئل فيجب ، ولا من يجتهد في رأي فيخطئ ويصيب، ولا معروف بدين وصلاح ولا فرسان حرب وكفاح ولا ولاة الامر والحكام ولا اعيان السادات الاشراف، ولا اكابر الفقهاء ومن الخفض قدره ومن اناف" (مقتطف من

نص البيعة) و" كتبها في كمال بدر 14 جمادى الثانية عام 1341هـ " ووقع عليه فقهاء غمارة والريف وهم عشرة " عبد ربه محمد بن علي الغماري وفقه الله، وعبد ربه علي بن الحاج محمد الحزيمي وفقه الله، وعبد ربه سبحانه بلقاسم بن عبد القادر الفحيجي الحسيني الله وليه ومولاه، وعبد ربه شعيب بن الحاج بن عبد الرحمان يعقوبي لطف الله به، وعبد ربه سبحانه الحاج طاهر يعقوبي، وعبد ربه محمد بن الحاج الصالح وفقه الله، واحمد بن المقدم التسماني، ومحمد بن عمار التباس، وعبد ربه المذنب شعيب بن ميمون بن علال الوليشكي يمنه وفضله امين، وعبد ربه سبحانه محمد بن الحاج محمادي التسماني لطف الله به امين، وبما قبله يصرح عبد ربه... عمر ..التعباني" (مقتطف من نص البيعة)

⁶⁶ محمد أونينا، عبد الكريم الخطابي واسطورة الانفصال (1921-1926) حفريات نقدية في خطاب الجمهورية الريفية، مطبة الخليج العربي تطوان، الطبعة الأولى، 2018، ص 29

⁶⁷ مجلة اخر ساعة، تاريخ 1957/4/24. نقلناها عن: محمد أمزيان، محمد بن عبد الكريم الخطابي، اراء ومواقف، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، 2010، ص 139.

⁶⁸ أحمد السيكوج "الظل الوريث في محاربة الريف"، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة الكوثر، برانبيت، الرباط، 2010ص 179. ويذكر أحمد أزرقان الخطابي انه " لا يميل إلى هذه الإمارة ويتشوق لأن تكون لغيره" نفسه .

⁶⁹ لقد كان للشيخ يحيى الحاحي مرتكزات شكلت اسسا لتورته وتمتلك في : الاصلاح الديني- الاخلاقي: ، الاصلاح السياسي- الجهاد ضد الاجتبي. (Robert Ricard . Mazagan et le Maroc sous le regne du Sultan Moulay Zidan (1608- 1627) Paris . Geuthner 1956. P 40.

ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن مراجعة : نور الدين صادق حركة الشيخ يحيى الحاحي وقيام امارة تارودانت، الجزء الاول من الدعوة الى الامارة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية - مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 23، مطبعة المعارف الجديدة، 2010.

⁷⁰ حوار مع جرمان عياش، مجلة تاريخ المغرب، ع.3، 1982، ص 6.

⁷¹ الخطابي وجمهورية الريف، م،س

⁷² لقد عرف محمد ابن عبد الكريم الخطابي بمجموعة من الألقاب فمحليا عرف ب " السي موحد" و " أميس ن سي عبدكريم - بمعنى ابن السي عبد الكريم"، كما كان يتردد لقب " المجاهد" والفقيه و القائد و الزعيم واللقب الشهير الذي لا يزال متداولاً إلى اليوم بين الريفيين " مولاي موحد". أما على المستوى الخارجي فقد كان هناك بعض الفقهاء أو القياد ممن ترأسوا معه أو قاموا بتتبع أخباره وتدوينها فقد جاء عندهم في كثير من الأحيان نعت " صاحب الجلالة" و " سيدنا" ونادرا نعت " السلطان". لكن هذه النعوت تبقى بعيدة عن الواقع. واللقب الذي كان متداولاً بشكل كبير هو لقب الأمير وبالخصوص في العالم العربي الاسلامي. جهاد الترياني، مائة من عظماء أمة الاسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى، (مصر)، الطبعة الأولى، 2010، ص 20. بينما في الدول الغربية عرف فقط ب " عبد الكريم" نسبة إلى والده .

⁷³ النشيد الوطني الذي كان معتمدا في المؤسسات التعليمية خلال فترة الخطابي:

هيا بنا أهل الوطن	نحيي الفرائض والسنن
فالسعد في هذا الزمن	بالإجتهد مع المنن
هيا بنا ، هيا بنا	نعلي ديار جدودنا
ونحامي عن أوطاننا	بالخزم والفعل الحسن

هيا بنا زاد العنا والذل أصبح ذيلنا
 هيا بنا نبدأ العمل فالوطن ضاع من الكسل
 والدين مات من الوجل والجهل قد أضل الوطن
 والعلم ضاع فليتنا متنا فقد ذاعت الفتن
 فيارب، يانعم اللطيف أعد يقظة الشرع الشريف
 بالخير والفضل المنيف وأصلح لنا هذا الزمن
 ثم الصلاة على المختار خير الأنام هو الشفيع غدا بين الأمم

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر وعن عثمان وعن علي ذوي الكرام (لقد قمنا بنقل هذا النشيد عن علي الإدريسي ، عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر، منشورات تيفراز، ط1، الدار البيضاء، 2007، ص 167. وذكر المؤلف أنه وجد هذا النشيد عند السيد الحاج محمد الفقير بتاريخ 19 غشت 2004 بالجزائر . والنشيد كان يستعرض على مسامع الفقير في كتاب مسيد بقرية تسمان في العام 1923. وحسب ما قاله الفقير للمؤلف هو أن هذا النشيد كان شائعا في المدارس والكتاتيب القرآنية، وكان يحفظه التلاميذ (نفسه، ص 168) وذكر المؤلف إضافة إلى ذلك أنه عثر على نفس النشيد عند إحدى المهاجرين الريفيين المقيمين بهولاندا.

Abdallah Laroui. Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain ⁷⁴
 1860-1912. Centre culturel Arabe . Casablanca . P107

ماريا روسا ذي ماداراغا، محمد عبد الكريم الخطابي والكفاح من اجل الاستقلال، ترجمة وتعليق: محمد أونيا وعبد المجيد عزوزي وعبد الحميد الرايس، منشورات تيفراز ن اريف، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2013، ص447.
⁷⁶ راجع بهذا الخصوص :

David Montgomery Hart. De Republik à République . Les institutions socio-politiques rifaines et les réformes d'Abd el- Krim . In Abd el- Krim et la république du Rif . Actes du colloque international d'«études historiques et sociologiques 18-20 Janvier 1973. François Maspero. Paris. 1976. P44.

دافيد م، هارت، المؤسسات الاجتماعية - السياسية وإصلاحات عبد الكريم، ضمن كتاب محمد بن عبد الكريم الخطابي، تجربة الثورة والجمهورية، مجلة الملتقى، عدد 42، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2018، ص 36.

⁷⁷ لقد عرف أن كل من له طموح للزعامة السياسية او الدينية بالمغرب لا بد له من إثبات انتماءه لذرية النبي (ص)

⁷⁸ وهو واحد من المداشر المتميزة عن باقي المداشر الوريغلية ، فمن جهة هو اقرب مدشر بالقبيلة الى ساحل البحر ، ومن جهة اخرى موقعه القريب الى جزيرة النكور المحتلة من طرف اسبانيا منذ العام 1673، ما يجعله من اقرب المداشر الى الثقافة الاسبانية الغربية ، وهذا الامر لعب دور مهم في عمليات التبادل التجاري التي قامت في وقت سابق بين ساكنة الريف والاسبان .

⁷⁹ ونقصد بهذه المذكرات ما كتبه الخطابي نفسه بمنفاه الواقع بجزيرة " لاريونيون " ليسلمها بعد ذلك لأحد الضباط الذي كان مكلفا بمراقبته وهو " موريس صاني " لمزيد من التفاصيل أنظر : محمد ابن عبد الكريم الخطابي، مذكرات لاريونيون، النص الأصلي بالعربية، تحقيق تعليق وتقديم: عبد المجيد عزوزي ومحمد أونيا و عبد الحميد الرايس ومحمد أمزيان، دار أبي ررقاق للطباعة والنشر،

- الطبعة الأولى، الرباط، 2017، ص 50. وعن ادعائه الانتماء للأصل العربي أنظر: محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، الخصوصية والهوية الحدائثة والتنمية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، نوفمبر 1988، ص 99.
- ⁸⁰ لقد كانت هناك مجموعة من الطرق الدينية ضد حركة الخطابي، وهو الآخر كان ضد البعض منها وهناك رسالة من المارشال ليوطي بتاريخ 21 يونيو من العام 1925 إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي بريان تؤكد ذلك الصراع ويقول فيها: دعمنا وما زلنا ندعم الدركاوي ضد مبادرات عبد الكريم" ليوطي الافريقي، نصوص ورسائل حول الثورة الريفية 1924-1925، عرض وتقديم: بيبير ليوطي، ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، منشورات ثيفراز ن اريف، رقم 12، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2013، ص 105. أنظر أيضا: روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت- نيويورك 1963، ص 136-145.
- ⁸¹ روبرت فورنو، عبد الكريم أمير الريف، قصة التحدي العربي للاستعمار الفرنسي والاسباني، ترجمة: فؤاد ايوب، دار دمشق للطباعة والنشر، 1968، ص 78. روبرت فورنو، الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، ملحمة المقاومة الثورية المسلحة في الشمال، ترجمة: فؤاد ايوب، نشر المنتقى، الطبعة الثانية، مراكش، 2018، ص 82.
- ⁸² مراسلة من صحافي بجريدة " لوجورنال" وهو جاك مارسيلياك عقب مقابلة له مع محمد ابن عبد الكريم الخطابي في دجنبر 1925. اوردها التهامي الوزاني، تاريخ المغرب...، م،س، الجزء 3، صص 181-184. نقلا عن: شكيب أرسلان، الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم الريف، ضمن كتاب حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثيروب ستودارت الأمريكي، ترجمة: عجاج نويهض، المجلد الثاني، الجزء الثالث، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1933، ص 200-204.
- ⁸³ روبرت فورنو، عبد الكريم أمير الريف، م،س، ص 79.
- ⁸⁴ مراسل " شيكاغو تريبيون" الأمريكية، من وصف منزل الأمير ابن عبد الكريم، أورد: رشدي الصالح، سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، بطل الريف ورئيس جمهوريتها، المطبعة السلفية، القاهرة 1343هـ، ص 86.
- ⁸⁵ التهامي الوزاني، تاريخ المغرب من البداية إلى قيام الحركة الوطنية، ج3، مطبعة الريف، تطوان 1940، ص 160.
- ⁸⁶ السكيريح، الظل الوريث...، م،س، ص 179.
- ⁸⁷ عثمان أشقرا، في سوسيولوجيا الفكر المغربي الحديث، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1990، ص 134.
- ⁸⁸ وهناك مجموعة من الوثائق التي تمم موقف قبائل الريف بهذا الخصوص وللإطلاع عليها كاملة يمكن الرجوع أيضا إلى محمد الصغير الخلوفي، بوحارة من الجهاد إلى التآمر، المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909، دراسة ووثائق، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، الرباط، 1993، ص 137. كما يمكن الإطلاع على أسباب تراجع قوات جيلالي الزرهوني بمجال نفوذ بني ورياغل يمكن الرجوع: الحاج العربي الورياشي، الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الاول سيدي محمد أمزيان واخبار مقاومته هو واخوانه الريفيين لآبي حمارة ثم الاسبان، مطبعة المهديّة، تطوان، الطبعة الاولى، 1976، ص 74.
- ⁸⁹ ماريا روسا دي ماداراغا، محمد بن عبد الكريم الخطابي...، م،س، ص 438.
- ⁹⁰ ونذكر في نفس السياق الاتصال الذي كان قد قام به في بداية حركته بالسلطان طلبا للمساعدة بتاريخ ماي 1922 حيث ارسل كل من الشريف الحاج محمد بن الحاج المكي الوزاني وابراهيم بن عبد الله الوزاني إلى فاس راجع بهذا الخصوص: XavierHubert- Jacques. L'aventure rifaine et ses dessous politiques. Edition Bossard. Paris 1927. P15.

وما نود لفت الانتباه اليه هاهنا ، هو ان علاقة الخطابي بالسلطان لن تسوء الا بعدما ساءت علاقته مع الإقامة العامة الفرنسية وهناك رسالة من السلطات تؤكد ذلك ويمكن الاطلاع على ذلك عند : ماريا روسا ذي ماداريناغا، محمد بن عبد الكريم الخطابي، م،س، ص 446.

⁹¹ كان هذا النداء عقب اجتماع رؤساء القبائل بجبل القامة، أوردته حسن محمد حسن البدوي، نقلا عن مذكرات الخطابي - نسخة علي الحمامي- ضمن الكتاب: محمد بن عبد الكريم الخطابي ودوره في تحرير شمال افريقيا 1920-1963 وثائق ومذكرات، ماهي للنشر والتوزيع، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2007، ص 45، الهامش 3.

⁹² الظل الوريث، م،س، ص 180.

⁹³ ماريا روسا ذي ماداريناغا، محمد بن عبد الكريم الخطابي والكفاح من أجل الاستقلال، م،س، ص 438-439. راجع أيضا: ابراهيم شحاتة حسن، نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية، مكتبة الاسكندرية، ص 253، الهامش رقم 48.

⁹⁴ بسبب الادعاءات الاستعمارية المغرضة من جهة ،وسوء فهم السلطان للأمر من جهة أخرى، انتهت تجربة الخطابي بالفشل، وبتاريخ 5 نونبر 1956 نشرت جريدة المنار تصريحاً يعود إلى الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابي والذي تحدث فيه عن سبب فشل تلك التجربة قائلا: " أريد أن أقول تحديدا أنني لم ألقى في الريف أي تشجيع كي أحقق مشاريعي الإصلاحية، ولم تفهمي سوى المجموعات الصغيرة في فاس والجزائر، وقد دعمتني كونها قد اطلعت على ما يدور في الخارج، وبكلمة لقد أتيت قبل أواني، ولكني مقتنع بأن أمالي ستتحقق أجلا أم عاجلا، بقوة الأشياء ومنطق الاحداث". جريدة المنار، جهل القادة المسلمين، نقلا عن عبد الله العروي، مجلة أمل، م،س، ص 107. أنظر أيضا عبد الرحمان الطيبي والحسين الإدريسي ، م،س، ص 107.

⁹⁵ لظالما اعتبرت ساكنة الريف على أنها ساكنة " الثغور" وكانوا يتمتعون بعدد من الامتيازات على مقاومتهم المرابطة التي يقومون بها بالتخوم . أنظر:

Abdallah Laroui. Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1860-1912. Centre culturel Arabe . Casablanca . P 382.

⁹⁶ الظل الوريث ،م،س، ص 32.

⁹⁷ يقول الخطابي في ذلك : " ... وكانوا يضغطون على مولاي يوسف الذي كان يكرههم فيخرجونه إلى المحلات والعساكر المغربية التي تحاربا تحت قيادة فرنسا، ويظهرونه للقبائل من بعيد ليوهبها أن السلطان جاء ليؤيد محاربة المجاهدين، وقد أخبرني غير واحد يوثق بهم أن مولاي يوسف كانت تدمع عيناه وهو في باب الخيمة ..." مجلة آخر ساعة المصرية ، بتاريخ 24-4-1957، م،س،

⁹⁸ عبد الرحمان الطيبي و الحسين الإدريسي ، م،س، ص 79.

⁹⁹ عبد الله العروي، م،س، ص 107.

¹⁰⁰ مقتطف من تصريح محمد ابن عبد الكريم الخطابي للمجلة آخر ساعة المصرية ، بتاريخ 24/4/1957، نقلا عن محمد أمزيان، م،س، ص 139.

¹⁰¹ محمد امزيان، محمد عبد الكريم الخطابي: اراء ومواقف، م،س، ص 138.

¹⁰² محمد ابراهيم الكتاني، ماذا استفاد المغرب من حرب التحرير الريفية، مجلة أمل، عدد 8، السنة الثالثة، 1996، ص 114. وقبل هذا التصريح كان لنفس الوزير مداخلة بمجلس النواب الفرنسي بتاريخ 28 ماي 1924 والذي أشار فيه إلى أن فرنسا

تواجه تهديدا صريحا لمغادرة فاس والمغرب الأقصى بل حتى تونس والجزائر. ونفس الطرح تبانه نواب اليمين المتطرف مؤكداً على أن " الجمهورية الريفية" هي دعوة للجهاد ضد الاسبان والنصارى بشكل عام. راجع بهذا الخصوص: أشغال ندوة باريس، عبد الكريم الخطابي وجمهورية الريف، م،س، ص 190.

¹⁰³ مجلة آخر ساعة ، بتاريخ 28-3-1956، القاهرة، عدد 1118.

¹⁰⁴ جريدة السعادة، بتاريخ 30 يوليوز 1926، طنجة، عدد 2980.

¹⁰⁵ تتناقض هذه الرواية التي جاءت بها جريدة السعادة التي أصدرتها المفوضية الفرنسية بطنجة في العام 1903، مع ما جاء به عبد السلام المراس في: الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ودعوى طلبه الملك، ذكريات من الماضي، جريدة التجديد المغربية، عدد 63، الرباط، بتاريخ 2000، 4-5. والتي ذكر فيها أنه سمع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في منزله بالقاهرة يتحدث هو ومجموعة من الطلبة المغاربة قائلاً: "... ومما يدل على أن مولاي يوسف كان له عطف علينا أنه عندما استسلمنا للفرنسيين ونقلونا إلى فاس ريثما ينفوننا إلى جزيرة لا رنيون، مررنا راجلين ببعض الأزقة الفاسية وإذا بشخص يقترب مني ويجذبي بلطف من قب جلبابي ويقول لي: سيدنا يسلم عليك ويقول لك أنه لا ينسأك أبداً... ". نفس الرواية جاء بها السي الحاتمي محمادي قائلاً أنه في خضم حديثه مع الحاج عمر التازي قال: " دخل الترجمان ماركو على المولى يوسف وقال له: " سيدي لقد جئتك ببشرى، سأله السلطان، ماهي؟ أجابه: أن عدوك عبد الكريم تقرر إبعاده إلى جزيرة الريونيون، فسأله السلطان، أين تقع هذه الرونية؟إنها بعد مدغشقر بأيام ومدة السفر من الدار البيضاء لا تقل عن شهر وبضعة أيام. فخرج الترجمان وقد أحس بامتعاض المولى يوسف للنبأ، واغرورقت عيناه بالدموع، إلى لأن قال لعبابو: " أنعم بهذا الإجراء أرادوا قتله"، مضيفاً: "لله درك يا ابن عبد الكريم، أنت شرفت الإسلام وأعلنت عن حسن مأل" والحاضرون في جلسة الشاي هم: المولى يوسف والحاج عمر التازي والفقيه عبايو وعم السلطان بوبكر وقاضي مراكش مولاي مصطفى العلوي صهر المولى ادريس والمولى مبارك" محمد الرايس، شهادات عن المقاومة في عهد الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، منشورات تيفراز، الطبعة الأولى، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2011، ص 384.

¹⁰⁶ نفسه.: إضافة إلى أن هناك رسالة جاء فيها وصف السلطان مولاي يوسف للخطابي بتاريخ 29 ذي القعدة 1343/21 يونيو 1925 " بالثائر الذي جاء من الجبهة الريفية ليوقظ نار الثورة والفساد بين سكان ناحية ورغة" النص الكامل للرسالة: عكاشة برباح، رسالة دورية إلى بعض قواد شمال شرق المغرب متعلقة بحرب الريف، مجلة أمل، ع، 12، 1997، وتوجد ترجمتها إلى الفرنسية بمجلة افريقيا الفرنسية Bulletin de l'Afrique Française، عدد 7، يوليوز 1925، ص ص 357-358. ويوجد نصها الكامل عند الأستاذ محمد أونيا، م،س، الملحق، الوثيقة رقم 9.

¹⁰⁷ نفس الرسالة أوردها عبد الرحمان الطيبي والحسين الادريسي / م،س، ص 83 اللذان نقلها ايضاً عن علي الادريسي. ¹⁰⁸ ورغم ما تسجله من اهمية الا ان الدراسات التي خصصت لها تبقى نادرة ونذكر منها اساساً: سعيد العمراني، احداث الريف كما رواها لي ابي، طنجة، مطبعة سليكي اخوين ، 2014.

محمد أمزيان، محنة الريف ، من الانتفاضة الى الحراك ، تطوان، منشورات تيفراز ن اريف 17، الطبعة الاولى، 2018. مصطفى اعراب، الريف بين القصر وجيش التحرير وحزب الاستقلال، منشورات اختلاف، 2001. في حين نجد ان الدراسات الاجنبية التي اهتمت بمغرب ما بعد الاستقلال قد خصصت فصلاً واحداً في أفضل الأحوال لهذه الفترة وهذه الاحداث ونذكر منها : دوجلاس اشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمة: عائدة سليمان عارف، احمد مصطفى ابو حاكمة، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1963.

- ¹⁰⁹ M. Concepcion Ybarra . la rebelion del Rif (1958- 1959) . espacio tiempo y rofirma . Série V. H Contemporanea. T. 10. 1997. P 336.
- ويمكن الرجوع ايضا الى : مصطفى أعراب، الريف والسلطة المركزية مقارنة تاريخية لأسباب التوتر ، مطابع الرباط نت، الطبعة الاولى، 2019.ص 95
- ¹¹⁰ اشغورد، م،س، ص 273.
- ¹¹¹ نفسه، ص 274
- ¹¹² بجمدر الاشارة الى ان هذه الاحداث تزعمها محمد الحاج سلام امزيان
- ¹¹³ عبد الصمد الزاكي ، تدخل مصر والحطايي وجبهة التحرير الجزائرية في أحداث الريف 1958-1959 بين الحقيقة والدعاية، مجلة الربيع، الريف : التاريخ ، الذاكرة والتراث، العدد الثامن، السنة الرابعة، مركز محمد بنسعيد ايت ايدر للابحاث والدراسات . من ص 255 الى 288.
- ¹¹⁴ الجبهة الرفية وهي نفسها التي سماها بعض الباحثين ب " جبهة النهضة المغربية"
- ¹¹⁵ محمد اقضاض، تأسيس لزمان الرصاص في المغرب، ضمن مجلة الربيع، الريف: التاريخ، الذاكرة والتراث، م،س، ص ص 290-291.
- ¹¹⁶ أنظر :
- ملحمة عبد الخالق الطريس، ملحمة الحماية الفرنسية الاسبانية بالمغرب، ترجمة محمد الشريف، مراجعة جعفر ابن الحاج السلمي. برحاب عكاشة "رسالة دورية إلى بعض قواد شمال شرق المغرب متعلقة بحرب الريف" مجلة أمل عدد 12، 1997،
- ¹¹⁷ Jean Claude Santucci, Soulèvements urbains, procès en chaine et répression politique, AAN 1984, PP 899-903
- ¹¹⁸ خطاب ملكي، لن تكون هناك زيادات في الاسعار، جريدة انوال، العدد 101، 26 يناير 1984، ص 2
- ¹¹⁹ Sophie Body – Gendrot. Ville et violence. L’irruption de nouveaux acteurs ; PUF. 1993. P 227
- ¹²⁰ James C. Scott ; La dominatio, et les arts de la résistance . Fragments du discours subalterne . Paris. Editions Amsterfam. 2009/